التبيان في كفر من أعان الأمريكان ...(2) !

الحملة الصليبية في مرحلتها الثانية "حرب العراق"

كتبه

ناصر بن حمد الفهد

رجب – 1423

المقدمة

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وبعد :

فيروى أن ذئباً كان يشرب من أحد الأنهار فأبصر حملاً ؛ فطمع في افتراسه ، ولكنه أراد أن يراعي شريعة الغاب ، فيبدأ بتقديم مسوّغ لافتراس ذلك الحمل يقنع به باقي الوحوش!:

فما إن رأى الحمل يجتر بفمه ، حتى بادره قائلاً :

- أتهزأ بي لا أبا لك ! .
- أبداً ، إنما اجتر بعض الطعام .
- لماذا كدرت عليّ ماء النهر أثناء شربي ؟ .
- وكيف ؟ وأنت أعلى النهر وأنا أسفله ! .
- إذاً أنت الذي قتلت أبي في العام الماضي !.
- أبداً ، فلم أولد إلا قبل أشهر ! .
- فأبوك إذاً هو الذي قتله ! .

ثم هجم عليه وافترسه! .

تذكرت هذه القصة عندما رأيت دفاع العراق وردوده على مسوّغات أمريكا في حملتها العداونية الأخيرة ، فمرة يكون سبب الحملة أسلحة الدمار الشامل ، ومرة بسبب تكهنات بوجود أعضاء من القاعدة ، ومرة بسبب حقوق الإنسان ، ومرة بسبب خطر النظام العراقي على العالم ، وكلما حاول العراق إغلاق باب فتحت باباً آخر ، تماماً كالذئب السابق مع الحمل ، ووجه شبه حكومة البعث الكافرة بالحمل إنما هو في الضعف ، لا في البراءة والطهارة!.

وأمريكا في عملها هذا إنما تسير بخطى حثيثة لإتمام حملتها الصليبية التي صرح بها طاغيتهم بوش بعد غزوة جمادى للقضاء على الإسلام ، وتحويله ما تبقى منه إلى (الإسلام الأمريكي) ، فالمرحلة الأولى كانت (أفغانستان) التي قامت بتدميرها وقتل أهلها ووضع حكومة عميلة كافرة تسعى لمسخ دين من تبقى من الشعب الأفغاني ! ، ثم ها هي المرحلة الثانية من هذه الحملة الصليبية تنتقل إلى (العراق) ، وستأتي بعدها المرحلة الثالثة ، والرابعة ، والخامسة ، وهكذا ، والمسلمون بوقوفهم من هذه الحملة موقف المتفرج إنما يشبهون قطيع الأنعام الذي يساق إلى حتفه ، ويكتفون بانتظار دورهم لدخول المسلخ بعد أن ينتهي الجزار ممن قبلهم! .

وقد صرحت مستشارة الرئيس الأمريكي لشؤون الأمن القومي كوندوليزا رايس في لقاء صحفي مع صحيفة (فايننشال تايمز) البريطانية يوم الاثنين 1423/7/16 بأن أمريكا في حربها ضد العراق تريد أن تكون قوة محررة تكرس نفسها " لإحلال الديمقراطية ومسيرة الحرية في العالم الإسلامي " .

وقد ذكرتُ في موضع آخر أن أمريكا تشن على المسلمين حربين : عسكرية ، وثقافية فكرية ، وتهدف من خلال هذا إلى مسخ دين الأمة ، ومن ضمن برنامجهم : هذه الحملة الصليبية الثانية ، إذ حربهم ضد العراق مرحلة ، سبقتها مرحلة ، وستتلوها مراحل : (عسكرية) و (فكرية) ، ولن يقفوا عند حدٍ إلا إذا استيقظ المسلمون من سباتهم ، وعلموا ماذا يراد بهم وبدينهم ، وهبّ المجاهدون في سبيل الله يطلبون النصر على أعداء الله الصليبيين أو الشهادة .

والأمريكان إنما يريدون من خلال هذه الحملات تدمير قيم المسلمين ، وفرض (قيمهم) الخبيثة بدلاً عنها ، كما صرّح بذلك مفكرهم فوكوياما حيث قال : " وبالرغم من رغبة الناس في الاعتقاد بأن الأفكار تعيش أو تموت نتيجة استقامة أخلاقياتهم الداخلية ؛ فإن القوة لها شأن كبير ، فالفاشية الألمانية لم تنته بسبب تناقضاتها الأخلاقية ؛ بل ماتت لأن ألمانيا تحولت إلى أنقاض ، ثم قال : إذا استمرت المواجهة العسكرية بشكل غير مؤثر فإن الفاشية الإسلامية ستحصل على المزيد من التأييد"! ، ويشير في هذا الكلام إلى ضرورة تحويل (الإرهابيين) وهم الأصوليون إلى (أنقاض) قبل أن تنتشر (الفاشية الإسلامية) كما يسميها ، وسيأتي مزيد تفصيل عن هذا الأمر إن شاء الله تعالى في هذه الرسالة.

وقد انتشرت في الأيام الأخيرة مئات أو آلاف التحليلات والتكهنات حول الضربة الأمريكية القادمة للعراق وأسبابها ، و امتلأت بها : المجالس ، والمنتديات ، والصحف ، والمجلات ، وغيرها ، ويهمنا من هذا كله الجواب على سؤالين :

الأول : ما الهدف الحقيقي من هذه الحملة الأمريكية ؟.

و **الثاني** : ما موقف المسلم منها ؟.

وقد حاولت الإجابة على هذين السؤالين – قدر استطاعتي – في هذه الرسالة المختصرة .

وقد قسمت هذه الرسالة إلى فصلين مختصرين :

الفصل الأول : أطراف النزاع :

وتحته مبحثان :

المبحث الأول : حكومة البعث العراقية .

المبحث الثاني : أمريكا وهدفها الحقيقي من الحملة على العراق .

الفصل الثاني : موقف المسلم من هذه الحملة :

وتحته ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : حكم إعانة أمريكا :

المبحث الثاني : حكم إعانة العراق :

المبحث الثالث : موقف علماء المسلمين :

أسأل الله سبحانه أن ينفع بهذه الرسالة من قرأها ، وأن يجعلها خالصة لوجهه الكريم ، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

كتبه

ناصر بن حمد الفهد

الرياض

رجب من عام 1423

nassir@al-fhd.com

الفصل الأول

أطراف النزاع

تمهيد

إن ترتيب الحكم الشرعي السليم ينبني على التصور الصحيح للواقعة ، كما قال ابن القيم رحمه الله تعالى في أول الطرق الحكمية :

" فهاهنا نوعان من الفقه لابد للحاكم منهما :

1-فقه في أحكام الحوادث الكلية .

2-وفقه في نفس الواقع وأحوال الناس : يميز به بين الصادق والكاذب ، والمحق والمبطل .

ثم يطابق بين هذا وهذا فيعطى الواقع حكمه ".

ونحن هنا بصدد ذكر الحكم الشرعي في مسألة الحملة الأمريكية على العراق ، وبيان حكم إعانة أحد الطرفين على الآخر ، وموقف المسلم من هذا النزاع ، فكان لا بد قبل ذكر الحكم الشرعي من الكلام على أطراف النزاع ؛ من خلال بيان حقيقة حكومة البعث العراقية ، وبيان الأهداف الأمريكية الحقيقية وراء هذه الحملة على العراق ، فأقول مستعيناً بالله :

المبحث الأول

حكومة البعث العراقية

إن حزب (البعث) وعقائده وتاريخه وجرائمه وخبثه وعداءه للإسلام والمسلمين أمره مشهور ، وقد ألفت فيه مجموعة من الكتب ، وصدرت في حقه عدد من الفتاوى تبين كفره وخروجه عن الإسلام ، ولا أريد هنا أن أكرر ما كتب عن هذا الحزب ، ولكني أريد التذكير بحقيقته حتى لا يغتر المسلمون ببعض المظاهر التي يظهرها طواغيت هذا الحزب إذا ادلهمت بهم الخطوب ، وضاقت عليهم الأرض ، وأرادوا كسب تعاطف الناس : من التشدق بالإسلام ، و تسمية قتالهم جهاداً ، وموتاهم شهداء ، وكتابة (الله أكبر) على راياتهم! ، وتصوير طواغيتهم وهم يصلون ، وغير ذلك[1] ، مما يروج على السذج؛ وهم كثيرون للأسف .

فأقول [2]:

سأقسم الكلام عن هذا الحزب إلى قسمين مختصرين :

القسم الأول : **تاريخه الفكري والسياسي** :

اعلم أن هذا الحزب الكافر (حزب البعث) : قومي علماني اشتراكي ، أسسه النصراني السوري المسمى (ميشيل عفلق) بالاشتراك مع (صلاح البيطار) – وهو سوري أيضاً – وذلك في جمادى الأولى من عام 1366 في سوريا ، وأصدروا مجلة باسم (البعث) ، ثم اندمج حزب البعث مع الحزب العربي الاشتراكي تحت اسم (حزب البعث العربي الاشتراكي) عام 1372.

و كان لهذا الحزب دور في الحكومات السورية المتعاقبة من عام 1368 حتى عام 1382 ، ثم تمكن من حكم سوريا من ذلك العام (1382) حتى اليوم .

وأما في العراق : فقد دخل هذا الحزب في أحداث دموية وانقلابات عسكرية وتصفيات جسدية منذ عام 1377 حتى تمكن من السلطة منذ عام 1385 حتى اليوم .

وعلى الرغم من أن حزب البعث الحاكم في سوريا والعراق أصله حزب واحد يقوم على أسس واحدة إلا أن العداء بين هذين الحزبين منقطع النظير ! .

---

[1] ومن هذا ما ذكره بعض الإخوة عن طواغيت البعث أنهم الآن يأمرون بإغلاق المحلات وقت الصلاة – ولم يكن هذا من قبل ! – ، وسمحوا لدراويش الصوفية بإحياء الليالي ، ونحو هذا لخداع السذج .

[2] انظر في هذا : (حزب البعث : تاريخه وعقائده) للغامدي ، و (الحركات القومية الحديثة في ميزان الإسلام) لمحمد منير نجيب ، و(الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة) للندوة العالمية للشباب الإسلامي ، وغيرها من الكتب .

ويقوم هذا الحزب من الناحية الفكرية على : القومية ، العلمانية ، الاشتراكية ، وشعاره : (أمة عربية واحدة ذات رسالة خالدة) ، وتتمثل أهدافه في (الوحدة) و (الحرية) و (الاشتراكية) . وهو يترسم طريق (الماركسية) ، إلا أن اتجاهات الماركسية أممية ، واتجاهات البعث قومية .

وسياسة الحزب –كما يظهر من شعاره وأهدافه – على أن تحقيق الاشتراكية شرط أساس لبقاء الأمة العربية ، وعلى أن الرابطة القومية هي الرابطة الوحيدة القائمة في الدول العربية التي تحقق الوحدة بينهم .

يقول مؤسس البعث ميشيل عفلق في كتابه الذي هو بمثابة كتاب البعثيين المقدس (في سبيل البعث) :

" أما النظرية القومية : فهي التعبير المتطور عن هذه الفكرة الخالدة حسب الزمان والظروف ، وأن هذه النظرية تتمثل اليوم حسب اعتقادنا في : الحرية ، والاشتراكية ، والوحدة . وبهذا التفريق تتسع القومية العربية لكل هذا الواقع الغني الممتد عبر عصور التاريخ في جميع أقطارنا ".

ودستور حزب البعث بشقيه (السوري) و (العراقي) قائم على الكفر الظاهر كغيره من الدساتير الوضعية ، إلا أنه يزيد عليها بأنه لم ترد فيه كلمة الدين ، ولا الإيمان بالله مطلقاً ! ، لذلك يقول شاعرهم والعياذ بالله :

آمنت بالبعث ربا لا شريك له **** وبالعروبة دينا ما له ثاني

وهذا كله غيض من فيض ! .

وإن تعجب فاعجب لهذا الحزب الكافر الذي هدفه (الوحدة العربية) ومع ذلك لم يقدر على توحيد (حزب البعث) نفسه ! ، بل إن بين حزب البعث بشقيه السوري والعراقي من المؤامرات والمكايد والصراعات ما يعرفه كل مطلع على تاريخ البلدين الحديث !.

بل وأعظم من ذلك أن الحزب العراقي نفسه لم يقدر على هذه الوحدة التي يتشدقون بها ، فقد حصلت بين أعضاء هذا الحزب من المجازر والتصفيات الجسدية ما هو مشهور ، وقد قام صدام حسين لما تولى رئاسة العراق في رجب 1399 بسلسلة إعدامات واسعة لأعضاء البعث أنفسهم ، فأعدم ثلث أعضاء مجلس قيادة الثورة (أعلى قيادة للحزب) ، وأكثر من خمسمائة من أعضاء البعث ! .

القسم الثاني : جرائمه ومخازيه بحق المسلمين :

تاريخ البعثيين في البلدين المنكوبين (سوريا) و (العراق) – بالإضافة إلى الكفر والزندقة – تاريخ مليء بالمآسي والدماء والمجازر :

ومن أشهر مجازر بعث سوريا (مجزرة حماة) عام 1402 ، والتي أبادوا خلالها الآلاف من المسلمين[1] مع ما حصل فيها من حوادث السجن والتعذيب والاغتصاب التي طالت الأحياء ! ، هذا غير اضطهاد الآلاف من العلماء والدعاة المسلمين الذين تعرضوا للقتل والأسر والتشريد في جميع أنحاء سوريا ! .

وأما بعث العراق فله في ذلك القدح المعلى :

فمن أشهر مجازره – والتي يفاخر بها بعث سوريا – (مجزرة حلبجة الكردية) حيث أباد سكانها بالكيماوي وغاز الخردل ! عام 1408 ، وكان القتلى بالآلاف ، وقد تناقلتها وكالات الأنباء في ذلك الوقت ، إلا أن الوكالات الخليجية سكتت عن مجازر العراق ، وكأن شيئاً لم يكن ، وذلك عندما كان المجرم هو : الركن المهيب !، حامي البوابة الشرقية !، صلاح الدين ! ، ولم تتذكر هذه المجزرة وغيرها إلا بعد احتلال الكويت بعد سنين ! .

وقد جاء في تقرير لمنظمة العفو الدولية كما في موقعها على الشبكة[2] :

" في العراق : أدت موجات القمع التي شنتها السلطات إلى تمزيق المجتمعات الكردية ، وتحطيم حياة الملايين منهم على مر السنين . وكان أشهرها تلك التي وقعت في آب/ أغسطس 1988(ذي الحجة 1408) ، عندما شنت القوات العراقية هجوماً بالأسلحة الكيميائية على بلدة حلبجة ، فقتلت على الفور ما يُقدر بحوالي 5000 من المدنيين الأكراد العزل . كما قُتل آلاف آخرون من الأكراد في هجمات أخرى في منطقة الشمال في هذه الفترة ، أسفرت عن فرار ما يربو على 50 ألف كردي إلى تركيا.

وفي الثمانينات من القرن الماضي ، اختفى مئات الألوف من الأكراد بعد القبض عليهم من قبل قوات الأمن العراقية ، ومعظمهم لم يره أحد مطلقاً من ذلك الحين . كما تعرض الأكراد في العراق إلى عمليات اعتقال تعسفي واسعة النطاق وإلى التعذيب وسوء المعاملة وعمليات الإعدام بعد محاكمات بإجراءات موجزة " .

وجاء في تقرير آخر لها أيضاً :

" ورد أن ما يربو على 6000 شخص – أغلبيتهم من المدنيين العزل – قتلوا عمداً على أيدي قوات الحكومة ، كما وردت معلومات عن قتل مئات آخرين عمداً خلال عام 1987م (1407) ، وكان كثيرون من هؤلاء ضحايا إعدامات خارجة عن نطاق القضاء ، وأغلبيتهم الساحقة من المدنيين الأكراد ، بينهم عائلات كاملة ، وورد أن حوالي 400 مدني كردي – بينهم نساء وأطفال – أعدموا في 2 نيسان

---

[1] وقد ذكرت بعض المصادر عن هذه المجزرة أن ضحاياها أكثر من ثلاثين ألف مسلم ، والله المستعان ! .

[2] ونحن عندما ننقل عن هذه المنظمة الكافرة لا نستدل بقولها بمجردة ، بل لأن كلامها وافق الواقع ، وقامت عليه الأدلة والوثائق ، ونشرته جميع الوكالات في حينه ، وقد رأى كثير من الناس مجازر البعثيين بالتفصيل.

إبريل في معسكر تانجروا العسكري بمحافظة السليمانية ، وقتل عمداً ما يقدر عددهم بحوالي 5000 شخص في 16و17أذار مارس (16 و17رجب) ، وأصيب آلاف غيرهم بجروح ناجمة عن هجمات بالأسلحة الكيماوية شنتها القوات العراقية على بلدة حلبجة بمحافظة السليمانية ، كما ورد أن معظم الضحايا من المدنيين ، وكثيرون منهم من النساء والأطفال . وفي آب أغسطس (ذي الحجة) قتل عمداً مئات المدنيين الأكراد العزل ، وجرح آلاف غيرهم ، عندما قامت قوات الحكومة العراقية بمهاجمة قرى كردية في شمال البلاد ، وورد أن آلاف الجنود العراقيين شنوا هجمات مستخدمين : الدبابات ، ومدافع الطائرات العامودية ، والمدفعية، والأسلحة الكيماوية[1] ، على مئات القرى في محافظات : دهوك ، والموصل ، وأربيل . واقتحمت في 28 آب أغسطس (4محرم 1408) عدة قرى قرب مدينة دهوك ، وقبضت على أكثر من 1000 شخص، كان بعضهم يعانون من جروح أصيبوا بها خلال الهجمات بالأسلحة الكيماوية ، وأعدموا على الفور ، ثم دفنوا في مدافن جماعية ".

ومصائب هذا الحزب الملعون وجرائمه ضد المسلمين أكثر من أن نحيط بعشر معشارها في هذه العجالة ، والمقصود من هذا الملخص أمران :

الأول : تذكير المسلمين بعقائد البعثيين وخبثهم وكفرهم ، وتاريخهم المملوء بالجرائم والمخازي ، فلا يغترون بمظاهر النفاق التي قد يظهرها أعضاؤه ، فإنهم أنكى على الإسلام وأهله من اليهود والنصارى ، وتاريخهم خير شاهد على هذا .

والثاني : أن معرفة حقيقة هذا الحزب تعين على معرفة الحكم الشرعي في مد يد العون إليه ، وهذا ما سنذكره في الفصل الثاني إن شاء الله .

[1] هكذا هؤلاء الطواغيت ، يكدسون هذه الأسلحة ليصبوها على رؤوس المسلمين ، ولينم اليهود قريرو العين ! .

المبحث الثاني
أمريكا وهدفها الحقيقي من الحملة على العراق

والكلام هنا على قسمين :

القسم الأول :

الكلام على فساد أمريكا ، وإفسادها في الأرض ، ومجازرها ضد المسلمين الذين يقدر عددهم بحوالي ثمانية ملايين ونصف المليون ممن قتلته أسلحة أمريكا المباشرة وغير المباشرة ، فهذا يطول ، وقد ذكرت شيئاً من هذا في الفصل الأول من كتاب (التبيان في كفر من أعان الأمريكان) فراجعه إن شئت.

والقسم الثاني :

الكلام على الهدف الحقيقي لأمريكا من حملتها على العراق :

فقد كثرت التحليلات والآراء والمواقف حول الهدف الحقيقي من ضرب أمريكا للعراق ، وسأقوم بذكر أهم ما وقفت عليه من الآراء ، وأعقب بعد ذلك بما أراه :

أولاً : إن الهدف الحقيقي لأمريكا هو (منبع الوهابية) : (جزيرة الإسلام) :

ويقول هؤلاء : إن المتابع للأحداث بعد غزوة جمادى يرى أن الحديث عن (الأصولية الوهابية) في أمريكا أخذ حيزا كبيرا ، بصفتها المغذي لفكر القاعدة ، فقد تحدثت الصحف والمجلات والقنوات الأمريكية كثيراً عن (الوهابية) وعلاقتها بالقاعدة ، وأن (الوهابية) فكر يقوم على بغض الآخر (الكافر) وكراهيته ، وكلامهم في هذا كثير جداً ، وقد قال غراهام فولر – وهو أحد كبار المستشارين السياسيين في مؤسسة "راند" للدراسات بواشنطن ، و شغل منصب نائب رئيس مجلس الاستخبارات القومي في وكالة المخابرات المركزية (السي آي إيه) – في مقال له بعنوان (أزمة في العلاقات الأميركية–السعودية) بتاريخ 1422/11/9 : (للمرة الأولى تهاجم الصحافة الأمريكية "الحركة الوهابية" باعتبارها حركة دينية غير متسامحة ، ومصدر الحركات الجهادية في العالم ، وقد زعم بعض الناقدين أن الأيدلوجية السعودية تنشيء كثيرين على شاكلة ابن لادن) .

ويقول فرانسيس فوكوياما صاحب (نهاية التاريخ) – وهو من مفكري أمريكا المشهورين ، وكان عضواً في مؤسسة راند أيضاً ، وعضواً في مجلس إعداد السياسات في فترة رئاسة ريجان وبوش الأب – في (النيوز ويك) في عددها (81) بتاريخ : 1422/10/10 : (وينبغي أن يوجه إصبع اتهام قوى بشأن صعود

الفاشية الإسلامية نحو السعودية ، فثروات العائلة السعودية المالكة اختلطت بمصالح الطائفة السلفية الوهابية منذ سنوات عديدة ، فقد سعت الأولى للحصول على الشرعية والحماية من رجال الدين عن طريق ترويج الوهابية ، لكن الحكام السعوديين قدموا استثمارات جديدة هائلة لترويج مفهومهم الخاص للإسلام في الثمانينات والتسعينات ، خاصة بعد محاولة الاستيلاء على الحرم المكي الشريف عام 1979 (1400) التي تم إجهاضها ، ويمكن تصنيف الفكر الوهابي بسهولة على أنه إسلامية فاشية ، وهناك كتاب دراسي إجباري للصف العاشر (لعله الأول الثانوي) يشرح أنه "يجب على المسلمين أن يخلصوا لبعضهم بعضا وأن يعتبروا الكفار أعداءهم "! ولم يروج السعوديون هذه العقيدة في الشرق الأوسط فحسب بل في الولايات المتحدة أيضا حيث قيل إنهم أنفقوا مئات ملايين الدولارات على بناء المدارس والمساجد لنشر مفهومهم الخاص عن الإسلام ، وقد سمحت كل هذه الأموال القادمة من الخليج لأسامة بن لادن وأتباعه فعليا بشراء بلد أفغانستان لأنفسهم واستخدامها كقاعدة لتدريب جيل كامل من المتعصبين العرب ، وفي هذا المجال فإن الولايات المتحدة تلام أيضا لأنها هجرت (أفغانستان) بعد انسحاب الاتحاد السوفيتي ، ولأنها تخلت عن مسئوليتها في إقامة نظام سياسي مستقر ومعاصر هناك " . ويقول أيضاً في آخر مقاله : " يجب على المسلمين المهتمين بصيغة إسلامية أكثر ليبرالية أن يتوقفوا عن لوم الغرب على أنه يرسم الإسلام بريشة عريضة جدا وأن يتحركوا لعزل المتطرفين بينهم وتقويض شرعيتهم ، وهناك بعض الدلائل على أن ذلك يحصل الآن ، فالمسلمون الأمريكيون يستيقظون الآن ليكتشفوا مدى تأثير الوهابية داخل مجتمعاتهم نفسها".

وكلامهم في هذا كثير جداً ، فقد نشرت وكالات الأنباء العالمية أحد التقارير المقدمة للبنتاجون والذي يصف فيه الدولة السعودية على أنها دولة (معادية)[1] ، فقد ذكرت صحيفة "واشنطن بوست" الأمريكية الثلاثاء 1423/5/28 : إن التقرير الذي قدمه المحلل لوران موراويك في اجتماع نظمه مجلس سياسة الدفاع في البنتاجون ، وصف السعوديين بأنهم نشطاء على جميع المستويات فيما أسماه سلسلة الإرهاب بدءا من المخططين والممولين ، ومرورا بالقياديين والجنود ، وانتهاء بالمنظرين الأيديولوجيين والمؤيدين ، وقال موراويك في تقريره الذي تسلمه مجلس السياسات الدفاعية المسئول عن تقديم النصائح للبنتاجون فيما يتعلق بالسياسة الدفاعية : " إن السعودية تؤيد أعداءنا ، وتهاجم حلفاءنا ، معتبرًا أنها نواة الشر ، والعدو الأكثر خطورة في الشرق الأوسط ". وحث المحلل الولايات المتحدة على مطالبة الرياض بوقف تمويل المؤسسات

[1] ومثل هذه التقارير إنما تكون بأمر وعلم وزارة الدفاع والإدارة الأمريكية ! .

الأصولية الإسلامية في شتى أنحاء العالم ، ووقف المشاعر المعادية للولايات المتحدة ومعارضة إسرائيل داخل السعودية .

كما نشرت الوكالات تهجم عدد من أعضاء الكونجرس على (الوهابية) بتاريخ 11ربيع الأول 1423 ، حيث انتقدوا الوهابية كمذهب ووصفوه بالتطرف ، وذكروا أن الأصولية انتشرت بالمال الوهابي في مختلف أنحاء العالم الإسلامي ، خاصة في مدارس باكستان التي تعلم فيها الطالبان . وذكر جيمس ولسي — أحد المتحدثين في الكونجرس — أن الوهابية وحدها ليست مسئولة عن فكر الجماعات المتطرفة ، ولكنها – كما يقول – مثّلت هي والأصولية الإسلامية المنتشرة في مختلف أنحاء العالم الإسلامي تربة خصبة لنشأة الجماعات الإرهابية ، مثل القاعدة . وقد شبه ولسي الأصولية الإسلامية بالفلسفات المتطرفة التي سادت أوربا بعد الحرب العالمية الأولى التي قادت إلى ظهور النازية كحركة إرهابية فجردت هذه الحملة لهذا الهدف ، كما انتقدوا ما رأوه من انتشار لمشاعر العداء للولايات المتحدة والعداء للسامية داخل المجتمع السعودي ، مشيرين إلى بعض الدراسات التي أجرتها مؤسسات أمريكية عن انتشار تأييد ابن لادن بين السعوديين ، وعلى مستوى التوصيات العملية التي قدمها أعضاء الكونجرس هؤلاء ، فقد طالبوا بتدخل الولايات المتحدة للضغط المباشر على المملكة العربية السعودية لإدخال الإصلاحات المطلوبة على المستويات الفكرية والتعليمية والسياسية أيضا![1].

[1] وقد دار حوار بيني وبين أحد أصحابي حول التهديدات الأمريكية الحالية لضرب العراق ، وللفائدة أنقل ما علق بذهني منه:

قال صاحبي : أتذكر حديث عوف بن مالك رضي الله عنه في الصحيح عن أشراط الساعة؟ .

قلت : تعني حديث " اعدد ستاً بين يدي الساعة" ؟.

قال : نعم ، فقد جاء في آخر حديثه الذي رواه البخاري في صحيحه قول الرسول صلى الله عليه وسلم : " ثم هدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر ، فيغدرون ، فيأتونكم تحت ثمانين غاية ، تحت كل غاية اثنا عشر ألفا ".

قلت : وما مرادك من هذا ؟ .

قال : قد ذكر بعض طلبة العلم قبل أكثر من عشر سنوات أن الهدنة المذكورة في هذا الحديث قد يكون المقصود بها ما حصل في حرب الخليج الثانية !.

قلت : ثم ماذا ؟.

قال : إن ثبت فعلاً أن الحرب السابقة هي المقصودة بالهدنة التي في الحديث ، فالحاصل في وقتنا — والله أعلم — هو تحقيق الجزء الثاني منه ! .

قلت : ماذا تعني ؟.

قال : لقد ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم أن الغدر يقع بعد الهدنة من الروم ، والغدر إنما يقع على من كانت الهدنة معه ، يعني على الذين صالحوهم وأدخلوهم بلادهم ، وقد ورد في رواية أبي داود في حديث أحد الصحابة يرفعه : " ستصالحكم الروم صلحا أمنا ، ثم تغزون وهم عدوا فتنصرون ، وتسلمون ، وتغنمون ، ثم تنصرون الروم حتى تنزلوا بمرج ذي تلول فيرفع رجل من

النصرانية صليبا ؛ فيقول : غلب الصليب ، فيغضب رجل من المسلمين فيقوم إليه فيدقه ، فعند ذلك يغدر الروم ويجمعون للملحمة " ، ولو قلنا بأن الهدنة هي ما وقعت في ما يسمى بحرب تحرير الكويت ؛ فلعل الرجل الذي غضب من المسلمين هو الشيخ أسامة بن لادن ، ولعل جمع القوات الأمريكية في الخليج هو غدر الروم ! .

قلت : كل هذه افتراضات ، وهي من علم الغيب ، وما ذكرته وإن وافق بعضه ما ذكر في النصوص ، إلا أن هناك وقائع أخرى مخالفة لما ورد لا تحمل عليه إلا بتعسف .

قال : نعم ، لذلك لا أجزم بهذا القول ، وإنما ذكرته احتمالاً .

قلت : وماذا يريدون ؟ هذه حكومة السعودية قد أيدتهم في حربهم ضد ما يسمى بالإرهاب! ، وصرح المسئولون بذلك مراراً ، وقد شكرهم بوش على جهودهم معه ، وقال إنهم نفذوا جميع ما طلب منهم ! .

قال : نعم ، أعرف هذا ، إلا أن الأمريكان يريدون مع هذا التأييد تغيير النسيج الداخلي للمجتمع في الجزيرة ، فيريدون تغيير المناهج التعليمية ، والقضاء على المدارس الدينية كالمعاهد والجامعات الإسلامية التي تدرس عداء الآخر (الكافر) ، وتحجيم الدعاة والمشايخ المستقلين ، وتغريب المرأة ، بل وتغريب المجتمع كله ، وفتح الباب على مصراعيه للأفكار ، وحرية الردة ، وغير هذا ، حتى يقضوا تماماً على روائح (الوهابية) ، وأمريكا لا تقتنع في هذا الباب بسياسة النفس الطويل والتغيير التدريجي!.

فانظر كيف ضغطوا على الحكومة اليمنية والباكستانية حتى قاموا بإغلاق كثير من المعاهد الدينية ، ومحاصرة الدعوة ، فهم الآن تعارضت مصالحهم الكبرى المهددة من (الوهابيين) بمصالح مرحلية وهي التي تقوم عليها طبيعة علاقتهم بحكام الخليج ، ولا شك أنهم سيقدمون مصالحهم الكبرى ، وأعظم ما يخشون في هذا (سلاح النفط) ، وقد أمنوه فيما إذا تم لهم احتلال العراق ؛ لذلك سيأخذون على عاتقهم تنفيذ مخططهم هذا (بالطيب) أو (بالقوة) –كما يقال – ، فتأمل معي ما يلي :

أولاً : قبل إثارة موضوع العراق كثر الكلام على (الوهابية) ، وعلى (الدولة السعودية) ، ووجوب تقسيمها إلى كانتونات ، وأنها منبع التطرف ، وصنفها بعض معدي التقارير للبنتاجون على أنها دولة معادية ، وغير ذلك .

ثانياً : هدأت هذه الزوبعة بزوبعة أخرى ، وهي ضرب العراق ، وتغيير النظام الحاكم هناك .

ثالثاً : قامت أمريكا بتطويق الجزيرة من جميع الجهات في التمهيد لحملتها المزعومة على العراق :

ففي شرق الجزيرة : كدست الأسلحة الأمريكية في قاعدة العديد في (قطر) ، ووضعت القيادة البرية في (الكويت) ، وامتلأ (الخليج) من البوارج والسفن الحربية الأمريكية .

وفي شمال الجزيرة : وضعت قواعد وقوات عسكرية أمريكية في الأردن ، بالإضافة إلى قواعدها في (دولة اليهود) ، وما ستضعه في حال انتصارها على (العراق) في أراضيه.

وفي غرب الجزيرة : تتحكم (دولة اليهود) بأعلى البحر الأحمر ، و بأسفله عن طريق الجزر التي استأجرتها من (أرتريا) .

وفي جنوب الجزيرة : بدأت القوات الأمريكية تدخل (اليمن) ، بالإضافة إلى حاملاتها وسفنها الموجودة في (بحر العرب) ! .

ألا ترى أنه تطويق للجزيرة العربية من جميع الاتجاهات ؟! .

قلت : هل تعني أن هذه القوات إنما اجتمعت لحرب الجزيرة لا لحرب العراق ؟!.

قال : نعم ، هذا ما أعتقده ، ولكن لا أعني أنهم لن يضربوا العراق ، بل أعني أنه ليس هو الهدف الرئيس ، بل هو هدف تكتيكي مرحلي ، والهدف الاستراتيجي هو الجزيرة ، منبع الوهابية! . وأعتقد أنهم أخذوا بالقاعدة النبوية (**كان إذا أراد غزوة ورّى بغيرها!**) ، وسيستفيدون من ضرب العراق ابتداء فائدتين :

ثانياً : إن العراق هدف رئيس ، إلا أنه ليس الهدف النهائي ، بل هو جزء من حملة صليبية مستمرة في المنطقة كلها و (الجزيرة) جزء منها:

ويقول هؤلاء : إن بوش ابتدأ حملة صليبية أعلن عنها بعد غزوة جمادى مباشرة ، وقد انتهت المرحلة الأولى — ولو ظاهرياً — بالاستيلاء على أفغانستان وتعيين حكومة مرتدة تدور في الفلك الأمريكي ، وها هي أمريكا تجيش للمرحلة الثانية من حملتها الصليبية بضرب العراق واحتلاله وتعيين (قرضاي عراقي) فيها ، وهو جزء من حملة صليبية تستهدف المنطقة الإسلامية كلها ، ولكنها تقوم على سياسة (**أكل العنب : حبة ، حبة**) .

وهذا ناشيء من عقيدتهم الصليبية ، وقد قال الله تعالى (وَلا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا) (البقرة: من الآية217) ، وقال تعالى (وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ) (البقرة: من الآية120) .

ومما يؤكد هذا الحملة الصليبية ، وأنها ليست خاصة بالعراق فقط : ما نشرته صحيفة (فاينتشال تايمز) البريطانية يوم الاثنين 1423/7/16 عن مستشارة الرئيس الأمريكي لشؤون الأمن القومي كوندوليزا رايس وذكرت فيه أن الولايات المتحدة تريد أن تكون قوة محررة تكرس نفسها " لإحلال الديمقراطية ومسيرة الحرية في العالم الإسلامي " ، وتحدثت رايس عن ما يسمى بالمبادئ الجيو – استراتيجية لما بعد الحرب الباردة للولايات المتحدة فقالت: " إن النضال من أجل ما وصفته بالقيم الليبرالية الأمريكية يجب ألا يتوقف عند حدود الإسلام"، وقالت : " هناك عناصر إصلاحية في العالم الإسلامي نريد دعمها " . فالمسألة لن تقف عند العراق فقط!.

ومما يدل على هذا أيضاً أن الرئيس بوش لما طلب من الكونجرس الأمريكي تفويضه لحرب العراق كان طلبه أوسع من مجرد (ضرب العراق) ، كما ذكرت وكالات الأنباء في يوم الاثنين 1423/7/16، ونقلت قناة الجزيرة في موقعها على الشبكة عن رئيس لجنة خدمات الأسلحة بالكونغرس كارل ليفين – وهو ديمقراطي من ولاية ميتشغن – إن التفويض الذي يطلبه الرئيس " واسع جدا وليس مقتصرا على العراق " ، وطلب ليفين – في مقابلة ضمن برنامج " أخبار الأحد " بقناة فوكس التلفزيونية – إجراء بعض التغييرات

الأولى : تأمين مواردهم النفطية في حالة توقف الإمدادات عنهم من السعودية ، فلا يكون النفط سلاحاً في وجههم ، وحتى يأمنوا من طفرة كبيرة في أسعار النفط بصفتهم أكبر مستورد للنفط.

والثانية : تكون قاعدة لهم في تنفيذ هدفهم الاستراتيجي (ضرب الوهابية!) . انتهى.

على ما يطلبه الرئيس بوش ، وكانت إدارة بوش قد اقترحت على الكونغرس قرارا يمنح الرئيس سلطة استخدام كل الوسائل التي يراها مناسبة من أجل حماية مصالح الأمن القومي الأميركي " التي يهددها العراق وحفظ السلام والأمن في المنطقة ". وقال رئيس لجنة العلاقات الخارجية بالكونغرس جوزيف بيدين لمحطة (سي إن إن) الإخبارية إن الإبقاء على كلمة " المنطقة " في القرار ستعني " إطلاق العنان بغير حدود " ، مؤكدا أن ذلك سيعتبر سابقة و يجب تغيير هذه الصياغة . وأضاف بيدين – وهو نائب ديمقراطي عن ولاية ديلاوير – أن على الرئيس بوش أن يوضح للأميركيين خططه بشأن منطقة الشرق الأوسط .

وقد صرّح نائب وزير الدفاع الأمريكي (بول وولفويتز) يوم الخميس 3/25 / 1423 لصحيفة واشنطن تايمز بأنهم يخططون لنشر العلمنة التامة في العالم الإسلامي ؛ حيث قال في معرض حديثه عن حربهم للإسلام السلفي (الوهابي!) : " إن من أكثر الدول التي يمكن أن تكون أمثلة للدول الإسلامية الحرة والديمقراطية هي : تركيا ، واندونيسيا ، والمغرب" ، وهذه الدول من أعظم الدول محاربة لتحكيم الشرع الإسلامي . وأضاف قائلا : " نروج لذلك النوع من النجاح كحل للإرهاب على المدى البعيد ؛ أما على المدى القريب فمن المهم اعتقال وأسر وقتل الإرهابيين ".

و قال كينث كاتزمان – أحد خبراء شئون إيران في الكونجرس – : "بدأت الإدارة الأمريكية في الاتجاه نحو فكرة جديدة ألا وهى تنمية الديمقراطية في العالم العربي و الإسلامي بالكامل على أساس تغيير أنظمة تلك الدول بدلا من التعامل معها كما هي الآن ".

وقد طرحت مصادر صحفية على الدكتور برام دي يونغ – خبير شئون استراتيجية الحروب الدولية في العاصمة الهولندية أمستردام – سؤالاً عن : مدى جدية التهديدات الأمريكية الحالية لضرب العراق؟ فأجاب : ما من شك أن تصاعد التهديدات الأميركية مؤخرا لضرب العراق له مغزى سياسي موجه للعالم العربي بالدرجة الأولى ، فواشنطن تريد توصيل رسالة للعرب مؤداها أن أميركا جادة في نواياها ، وهي بذلك تحذرهم وتعرب عن عدم رضاها عن استمرار تصاعد لهجة الكراهية لأميركا التي تزايدت مؤخرا في وسائل الإعلام العربية ، خاصة في كل من مصر والسعودية ، التي تعتبرهما واشنطن جناحي التوازن وجسور المصالح الاقتصادية والسياسية الأمريكية في المنطقة العربية ! .

()()()()()()()()()

ثالثاً : إن الهدف من الحملة الأمريكية اقتصادي:

ويقول هؤلاء : إن أمريكا دولة قائمة على الاقتصاد بالدرجة الأولى ، وقد عانت في الفترات التي سبقت غزوة جمادى من بعض الركود الاقتصادي ، ثم جاءت الغزوة فزادت الطين بلة ؛ وازداد الوضع الاقتصادي سوءاً ، فأرادت أن تستغل الوضع العالمي الذي ينظر إليها كعملاق مفجوع ، فتضرب الحديد قبل أن يبرد ، فلا تزال حرارة ضربة جمادى لم تذهب ، ولا تزال حرب الإرهاب قائمة ، والعراق بلد موصوم بالإرهاب ، ومقاطع من العالم ، ولا بواكي له ، وهو بلد نفطي ، يأتي في المرتبة الثانية من ناحية المخزون ، وطاقته الإنتاجية قد تصل إلى أكثر من خمسة ملايين برميل يومياً ، وهي ثروة هائلة لمثل أمريكا أكبر مستورد للنفط في العالم ، وتستورد من الخليج ربع حاجاتها النفطية ، وقد ذكر مجموعة من خبراء الأمريكيين أنه لا غنى لأمريكا عن نفط الخليج لعقود مقبلة ! ، فبضرب العراق والاستيلاء على مناطق النفط فيه عبر (حكومة قرضاي عراقية) يكونون قد عوضوا كثيراً من خسائرهم الاقتصادية التي منوا بها بعد غزوة جمادى ، وقد قالت صحيفة ليبراسيون الفرنسية أن جورج بوش الرئيس الأمريكي يسيل لعابه على (7) ملايين برميل نفط عراقي يمكن إنتاجها يوميًا لتقليل الاعتماد على النفط السعودي.

وقالت : إن بوش يدرك جيدًا أن احتياطي العراق من البترول يصل إلى (115) مليار برميل ، مما يضع العراق في المرتبة الثانية من حيث الاحتياطي البترولي العالمي بعد السعودية .

وقد ذكر مساعد وزير الخارجية الأمريكي للتجارة الدولية غرانت الدوناس الأربعاء 1423/7/25 في وارسو أن حربا ضد العراق يمكن أن تفيد الاقتصاد العالمي ، وقال إن العواقب قد تكون مفيدة في اتجاهين ، موضحا من وجهة النظر الاقتصادية أنه سيتم القضاء على المصادر الفعلية للإرهاب وكذلك على السحب التي تلقي بثقلها على الاقتصاد العالمي ، وأضاف : "في الوقت نفسه سيفتح ذلك أنابيب النفط العراقي ، ما سيكون له بالتأكيد انعكاسات مهمة على أداء الدول المنتجة والمستهلكة للنفط ". وقال : " ذلك ليس هو السبب الذي يقف وراء عمل ضد (الرئيس العراقي) صدام حسين والعراق (!) لكن يمكن أن تكون له نتائج اقتصادية " .

وقال هؤلاء : إن أمريكا ستستفيد من هذا العمل أمرين :

الأول : إنعاش الاقتصاد الأمريكي عن طريق السيطرة على نفط العراق ، ومن ثم القدرة على التحكم بسعر النفط العالمي ، وقد ذكر أحد مستشاري الرئيس الأمريكي أن الولايات المتحدة توشك على الانهيار ، وبقاؤها مرهون بالانتعاش الاقتصادي ، وهو بعيد المنال لأنه هذا مرتبط بسعر النفط بشكل رئيس ، ولا يمكن أن يكون الانتعاش إلا في ظل سعر منخفض للبرميل يصل إلى 10 دولار أو أقل على مدى سنة ونصف قادمة على الأقل ، فإذا سيطرت أمريكا على النفط العراقي أمكنها أن ترفع إنتاج العراق إلى خمسة

أو سبعة مليون برميل خلال سنة واحدة لتضرب أسعار النفط ، و بذلك تضرب منظمة الأوبك ، بعد أن حاولت قبل ذلك ضربها بمحاولة انقلاب على الرئيس الفنزولي الذي يرأس المنظمة وبقدراته الإدارية استطاع تثبيت أسعار النفط ، ولكنها فشلت في محاولة الانقلاب ، وتوجهت إلى مصالحة روسيا وإدخالها في حلف الناتو ووقعت معها عقوداً طويلة نفطية لتوفر لها 5% من حاجتها النفطية في السنوات القادمة للاستغناء عن دول أوبك ، إلا أن النفط الروسي يحتاج إلى مجهودات ضخمة، فالسيطرة على النفط العراقي يعني إلغاء منظمة أوبك عملياً ، ويحقق تدهور أسعار النفط إلى دون 10 دولار ، مما يفيد الاقتصاد الأمريكي كثيراً .

والثاني : أنها ستكون في وضع تستطيع معه – بكامل الحرية – الضغط (بجميع الدرجات) على دول الخليج لتحقيق ما تريد ، لأن مسألة (النفط) – وهو رأس مال الخليجيين – قد انتهت قضيته بالنسبة للأمريكان ، وهذا يعود إلى الهدف الأول والثاني .

وقد نشرت الجريدة المسماة بـ(الحياة) يوم السبت : 1423/7/27 مقالاً بعنوان (النفط عامل رئيس في الحرب على العراق) ، قالت فيه : "لم يكن موضوع زيادة اعتماد الولايات المتحدة على نفط الخليج يحظى باهتمام كبير من قبل القائمين على السياسة الأمريكية حتى 11 أيلول (سبتمبر) 2001, غير أنه منذ ذلك الحين , أصبح هناك تصميم واضح للإدارة الأمريكية على خفض اعتماد الولايات المتحدة على النفط المستورد من منطقة الشرق الأوسط وزيادة الواردات النفطية من روسيا وأميركا اللاتينية ودول غرب أفريقيا وحوض بحر قزوين . وإذا ما نجح الرئيس الأمريكي جورج بوش بتحقيق التغيير المستهدف للنظام العراقي , سيُفتح المجال أمام شركات النفط الأمريكية للعمل في العراق والاستفادة من احتياطات نفطية ضخمة , وسيصبح العراق مصدر نفط أكثر أماناً للولايات المتحدة. وإذا ما تحقق هذا السيناريو فإن العراق سيستطيع زيادة طاقته الإنتاجية لتعود إلى المستويات التي وصلت إليها سابقاً وتجاوزت 3.5 مليون برميل يومياً على أن تصل معدلات الإنتاج هذه إلى ما يقارب ستة ملايين برميل يوميا بعد خمس سنوات . وستؤدي هذه الزيادة إلى ظهور فائض في الإنتاج في سوق النفط الدولية ، وستضعف من قدرة (أوبك) للسيطرة على الأسعار , وستشعر واشنطن عندها أنها في وضع تستطيع فيه الضغط على دول الخليج للقيام بالإصلاحات السياسية والاقتصادية المطلوبة ".

()()()()()()()()()

رابعاً : إن الهدف من الحملة الأمريكية تغطية فشل الحكومة الأمريكية :

ويقول هؤلاء : إن حكومة بوش تعاني من فشل داخلي وخارجي :

أما الفشل الداخلي فيتمثل في الفضائح الاقتصادية المتتابعة التي حصلت في إدارة بوش ، بالإضافة إلى عدم نجاح الحكومة في معالجة كثير من الأزمات الداخلية ، حتى طبع كتاب لأحد الأمريكيين واسمه : (مايكل مور) بعنوان (رجال بيض أغبياء) ، وقد احتل – لفترة من الزمن – قائمة الكتب الأكثر مبيعا في أمريكا ، وهو يركز على جهل وغباء الرئيس الأمريكي (بوش) وعدم إلمامه بالسياسة وصناعة القرار، ويذكر إخفاقاته المتتالية .

وأما الفشل الخارجي فيتمثل في أن أمريكا لم تحقق أهدافها من حرب الإرهاب المزعومة ، فلم تقبض على الشيخ أسامة ولا الملا محمد عمر – حفظهما الله ونصرهما – و لا أحد من رؤوس القاعدة ولا طالبان ، ولم تحقق الأمن للأفغان ، ولم تهيمن على أراضي أفغانستان كاملة ، ولم تقدر على إنشاء حكومة شعبية ، ولم تستطع أن توقف الجهاد ، ولم تدفع عن نفسها الخوف والذعر من الهجمات الإرهابية المحتملة !.

فأرادت هذه الحكومة الاستمرار في الحرب لتغطية هذا الفشل وصرف الأنظار عنه ، ويمثلون ذلك بما فعله كلينتون عندما ضرب السودان وأفغانستان بالصواريخ لتغطية فضيحة مونيكا لوينسكي ! .

وقد قال غور – المرشح الرئاسي الأمريكي السابق – في خطاب ألقاه أمام نادي الكومنولث في سان فرانسيسكو بكاليفورنيا – : إن بوش وإدارته يستخدمان ضرب العراق وصدام حسين باعتبارهما الأضعف للتغطية على فشل الحرب ضد الإرهاب ، حيث مازال ابن لادن وقتلة أكثر من (3) آلاف أمريكي طلقاء ! .

()()()()()()()()()

خامساً : إن الهدف من الحملة الأمريكية حماية دولة اليهود :

ويقول هؤلاء : إن دولة اليهود عانت كثيراً من الفلسطينيين ومن العمليات الاستشهادية التي تسببت في قتل كثير من اليهود ، والمشكلة عندهم تكمن في أن الفلسطينيين إذا قتل منهم واحد ولد بدلاً منه عشرة ؛ لأن نسبة الإنجاب في فلسطين عالية ، بينما اليهود على العكس من ذلك ؛ إذا قتل منهم واحد فقدوا معه عشرة ؛ لفقدانهم اليهود الذين يمتنعون عن الهجرة إلى فلسطين بسبب هذه العمليات ، بالإضافة إلى الهجرة اليهودية المعاكسة إلى الخارج ، وإذا استمر الوضع على هذا النحو فسيخلق مشكلة سكانية ديموغرافية بزيادة الفلسطينيين على اليهود أضعافاً مضاعفة ، مما يجعل أمر بقاء اليهود أشبه ما يكون بالمحال ، ومن أجل هذا قامت دراسات تقرر أن حل هذه المشكلة تكمن في إيجاد وطن بديل للفلسطينيين وطردهم من وطنهم ، والبديل المرشح هو الأردن ، وقد يقوم اليهود بشن حرب مفاجئة مكثفة لطرد سكان الضفة الغربية إلى الشرق منها على نحو ما صنعوا عام 1367 ، ولكنهم يحتاجون إلى توفير غطاء أمني ، وظهر

قوي في المنطقة ، وهذا ما ستوفره لهم أمريكا التي ستكون مسيطرة على العراق والأردن ، بالإضافة إلى قواعدها الموجودة في المنطقة ، كما أن تدمير القدرات العراقية العسكرية والصناعية – وخاصة قدرتها على امتلاك ما يسمى بأسلحة الدمار الشامل – سيحقق التفوق اليهودي الدائم في المنطقة .

وقد ذكرت بعض الصحف أن نائب الرئيس الأمريكي (تشيني) ونائب وزير الدفاع (بول وولفوتيز) قدما خطة (المملكة الهاشمية الموحدة) ويريدون من خلالها توحيد العراق والأردن تحت حكم الهاشميين بعد إسقاط نظام صدام ، وقد حضر الأمير الحسن بن طلال (ولي عهد الأردن سابقاً) عدداً من اجتماعات المعارضة العراقية ، وتهدف هذه الخطة إلى تأمين أمريكا وحلفائها من دولة مشاغبة كالعراق وتحويل الدولتين إلى دولة واحدة موالية لواشنطن ، واستمرار الاستيلاء على آبار النفط العراقية ، بالإضافة إلى تأمين منطقة بديلة للفلسطينيين ! .

()()()()()()()()()()

سادساً : إن الهدف من الحملة الأمريكية مد النفوذ الأمريكي إلى مناطق خارجة عنها :

ويقول هؤلاء : إن معظم الدول المسماة بدول الشرق الأوسط تسير في فلك أمريكا وتسبح بحمدها، ولكن هناك دول لديها نوع من الاستقلالية ، ولا تزيد استقلاليتهم على القدرة على المشاغبة أحياناً ، كالطالب المشاغب مع أستاذه ، وقد وضعتها أمريكا من أجل ذلك من الدول الإرهابية أو الحامية للإرهاب مثل إيران والعراق وسوريا ، فإذا استولت أمريكا على العراق كانت قد أسقطت واحدة من هذه الدول ، و سهل عليها إخضاع إيران وسوريا ، إما بالتدخل المباشر ، أو بدعم الحركات المناهضة وعندها ستتخلص أمريكا من مشاغبات هذه الدول ، وأما الدول الأخرى فستكتفي أمريكا بهز العصا لها لتسير على الخط المرسوم !.

()()()()()()()()()()

سابعاً : إن الهدف من هذه الحملة تحقيق نبوءات توارتية :

ويقول هؤلاء : إن بوش ورامسفيلد وآشروكوفت وغيرهم من البروتستانت لديهم قناعات بأنهم الطليعة التي ستمهد لمعركة هرمجدون المقدسة ، وقد ذكر رامسفيلد بأن العالم ربما يدخل في مرحلة نووية كمقدمة

لهذه المعركة المقدسة ، وعقيدة البروتستانت تتفق مع اليهود في أمور كثيرة من أهمها أن هجرة اليهود جميعاً إلى فلسطين مقدمة لهرمجدون ، وبناء الهيكل على أنقاض الأقصى مقدمة لخروج ملك اليهود ، وخروج ملك اليهود هو الإذن بعودة اليسوع لتمكين النصارى وخوض المعركة ، ومن نبوءات اليهود أن قتل شعب بابل الملعونة (العراق) مقدمة لبناء الهيكل , و بناء الهيكل يعني –كما سبق– قرب معركة هرمجدون التي يمهد لها بوش وإدارته ، فهناك توافق عقدي يهودي بروتستانتي في مصالح قتل الشعب العراقي وتهجير الفلسطينيين إلى الأرض الملعونة وعودة جميع اليهود إلى فلسطين وبداية المعركة الفاصلة .

وقد ألف أحد البريطانيين واسمه (ستورم مينيستريز) كتاباً بعنوان (نوستراداموس ، صدام حسين ، هرمجدون) ، يبحث في النصوص النبوية التوراتية ، يجيب فيه عن عدّة تساؤلات يطرحها في بداية كتابه ، وأحد هذه التساؤلات : هل صدام حسين هو دجّال آخر الزمان الذي تنبأ به (نوستراداموس)[1]؟! .

وقد جاء في أسفارهم في تفسير جبريل لرؤية للنبي دانيال (8 : 19) :

" وقال : ها أنا أُطلعك على ما سيحدث ، في آخر حقبة الغضب ، لأنّ الرؤيا ترتبط بميعاد الانتهاء ، أن الكبش ذو القرنين الذي رأيته هو ملوك مادي وفارس (إيران والعراق) ، والتيس الأشعر هو ملك اليونان (الغرب) ، والقرن العظيم النابت بين عينيه ، هو الملك الأول وما إن انكسر ، حتى خلفه أربعة عوضا عنه ، تقاسموا مملكته ، ولكن لم يُماثلوه في قوته . وفي أواخر ملكهم ، عندما تبلغ المعاصي أقصى مداها (عند اكتمال الظلم) ، يقوم ملك فظ حاذق وداهية جافي الوجه وفاهم الحيل (بعض المفسّرين يرونه الرئيس العراقي) ، فيُعظم شأنه ، إنما ليس بفضل قوّته . ويُسبّب دمارا رهيبا (نتيجة استخدام أسلحة الدمار الشامل) ، ويفلح في القضاء على الأقوياء (أمريكا والغرب) ، ويقهر شعب الله (اليهود) . وبدهائه ومكره يُحقّق مآربه ، ويتكبّر في قلبه ، ويُهلك الكثيرين وهم في طمأنينة ، ويتمرّد على رئيس الرؤساء ، لكنه يتحطّم بغير يد الإنسان (أي يموت موتا طبيعيا) " ، ويرى كثير من الإنجيليين اليوم أن هذه النبوءة تتحدث عن صدام حسين ، وغزوه لدولة اليهود وتدميرها ، وإشعاله لنار الحرب العالمية الثالثة ، فتارة يصفونه بنبوخذ نصر جديد ، وتارة يصفونه بصلاح الدين الجديد ، وتارة بدجال آخر الزمان ، الذي

[1] هو نصراني فرنسي ، من أصل يهودي ، عاش في الفترة (908 هـ – 973 هـ) ، ألّف كتاب نبوءات اشتهر باسمه (نبوءات نوستراداموس) ، وهو من أكثر الكتب مبيعات – مؤخراً – في أوربا وأمريكا ، وذكر أن مصدر نبوءاته مجموعة من الكتب القديمة التي ورثها عن أجداده اليهود ، وقام بقراءة الأحداث الواردة في النبوءات ووضعها في كتاب على شكل رسائل نثرية ، وأبيات شعرية سمّاها الرباعيات ، استخدم فيها الكثير من الاستعارات والرموز ، الواضحة الدلالة أحيانا ، والمضلّلة والمحيّرة أغلب الأحيان ، انظر : كتاب (نبوءات نوستراداموس) للطبيب الفرنسي (دو فونبرون) ، ترجمة أسامة الحاج ، دار مكتبة التربية ، بيروت طبعة 1416 . عن (نهاية إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية) لخالد عبد الواحد ص177 .

يظهر في إيران أو العراق ، وهذه النبوءة وتفسيراتها الحديثة ، قد تفسر جانبا من العداء الغربي للعراق وللعراقيين ولشخص الرئيس العراقي[1] .

()()()()()()()()()

هذا أهم ما وقفت عليه من الأهداف ، وينبغي وضع عدد من الاعتبارات عند محاولة معرفة الهدف الحقيقي لأمريكا من هذه الحملة منها :

1- أن هذه الحملة جاءت امتداداً لحربها ضد ما يسمونه بالإرهاب ، فهي على هذا استمرار لحربهم ضد الإسلام والتي بدأوها بأفغانستان ، وقد ذكرت في الفصل الأول من كتاب (التبيان) الأدلة على أن حملتهم ضد أفغانستان صليبية ، فراجعها إن شئت .

2- أن الأهداف الحقيقية للحملة لم يذكرها الأمريكيون ، وإن كانت قد تعرف من لحن تصريحاتهم، وهذا متفق عليه بين جميع المحللين الذين وقفت على آرائهم على اختلاف اتجاهاتهم ، فكل واحد منهم يذكر ما يرجح أنه الهدف الحقيقي من وراء هذه الحملة ، وقد اختلفوا في تحديد هذا الهدف ، إلا أنهم اتفقوا على شيء واحد وهو : أن الأسباب المعلنة ليست هي المقصودة ! ، وقد انتقدت صحيفة النيويورك تايمز الأمريكية –كما في موقع المفكرة – السرية المفرطة التي تفرضها إدارة الرئيس بوش على سياستها تجاه العراق ودعت إلى إطلاع الشعب الأمريكي على المعلومات المتعلقة بهذا الموضوع ، وقالت الصحيفة : " إن الإدارة عرضت القليل من الحقائق والأدلة لدعم أي من هذه المبررات في وقت تلمح فيه إلى وجود معلومات استخباراتية سرية يقول المسئولون إنهم غير مستعدين للإعلان عنها " ، وقالت : "إن هذه المعلومات يجب أن ترشد السياسة الأمريكية إلا أنه لا يجب اقتياد البلاد إلى حرب على أساس معلومات لا يسمح للشعب الأمريكي بالإطلاع عليها أو معرفة شيء عنها".

3- أن وراء هذه الحملة تحقيق أهداف استراتيجية متشابكة كبيرة لأمريكا ، وإلا لما خاطرت بالدخول إلى هذه المنطقة ، وتعريض مصالحها وصداقاتها وحلفائها للخطر ، بالرغم مما تعانيه من أزمات متتابعة !.

4- أن هذه الضربة يريدون من خلالها تحقيق مجموعة من الأهداف ، وليس هدفاً واحداً ، منها أهداف رئيسة ، ومنها أهداف ثانوية ، فالرئيسة : امتداد لحربهم ضد الإسلام و (الوهابية) والتي ابتدأوها بقوة بعد

---

[1] المرجع السابق : ص 155 ، وما بين الأقواس من نفس المرجع أيضاً . وقد نقلت مصادر صحفية عن هنري كيسنجر اليهودي أنه قال (الطريق إلى القدس يمر عبر بغداد) ! ، ولذا تزامنت الاستعدادات لضرب العراق مع توقيع بوش على قانون يعترف بالقدس عاصمة للدولة اليهودية !.

الغزوة المباركة ، عن طريق الضغط على دول المنطقة عموماً ، وخصوصاً الجزيرة لتغيير المجتمع كلياً إلى مجتمع متحرر والقضاء على (أصول الوهابية) ، وهو من أهم الأهداف ، ومن أهدافهم الضغط على سوريا وإيران ، والقضاء نهائياً على حكم صدام الذي (قد) يشكل خطراً في المستقبل على مصالحهم في المنطقة ، والسعي لتحقيق الأمن اليهودي ، مع الاستيلاء على آبار النفط ، وغير ذلك ، فبناء على هذا قد تكون جميع الأهداف المذكورة سابقاً مرادة من هذه الحملة الصليبية على تفاوت بينها في الأهمية .

5- أن تصريحات المسئولين الأمريكان تدل على أن الهدف أكبر من (العراق) ، وأنها على الرغم من أنها مقصودة لأهداف أمريكية معينة ؛ فإنها مع ذلك مرحلة من مراحل ، وخطوة من خطوات ، بدأت في أفغانستان ، ولا يدري غير الله أين تنتهي .

وقد ظهر هذا في طلب الرئيس الأمريكي بوش من الكونجرس تفويضه لاستخدام القوة ، حيث استخدم عبارة (المنطقة) بدلاً من (العراق) ، مما سبب جدلاً بين الأعضاء ، وكما ذكرت رايس أن الهدف تحقيق الحرية والديمقراطية في العالم الإسلامي ، وقد سبق ذكر ذلك كله ، وقد صرّح نائب وزير الدفاع الأمريكي (بول وولفويتز) يوم الخميس 3/25 / 1423 لصحيفة واشنطن تايمز بخطتهم لعلمنة العالم الإسلامي حيث قال : " إن من أكثر الدول التي يمكن أن تكون أمثلة للدول الإسلامية الحرة والديمقراطية هي : تركيا ، واندونيسيا ، والمغرب" . وأضاف قائلا : " نروج لذلك النوع من النجاح كحل للإرهاب على المدى البعيد ؛ أما على المدى القريب فمن المهم اعتقال وأسر وقتل الإرهابيين " .

ومما سبق يظهر لك أن ضرب العراق إنما هو امتداد للحملة الصليبية التي ابتدأتها أمريكا بضرب أفغانستان ، وستثني بالعراق ، وتسعى من خلالها للقضاء على الدين الإسلامي الحقيقي ، عن طريق الضغط على دول المنطقة ، أو التدخل المباشر ، مع تحقيق بعض الأهداف الأخرى .

الفصل الثاني

موقف المسلم من هذه الحملة

المبحث الأول

حكم إعانة أمريكا

بعد أن تبين لنا أن ضرب أمريكا للعراق إنما هو امتداد للحملة الصليبية التي بدأتها ضد الإسلام في أفغانستان ، وأن هذه الضربة القادمة للعراق ستتلوها ضربات وتغيير في المنطقة ككل ؛ كما قالت (رايس) مستشارة الرئيس الأمريكي بأن أمريكا تريد من خلال ضرب العراق أن تكون قوة محررة تكرس نفسها " لإحلال الديمقراطية ومسيرة الحرية في العالم الإسلامي " ، وقد ذكر نائب وزير الدفاع الأمريكي أن المثال الذي يريدون تطبيقه في المنطقة هو مثال (تركيا) ونحوها ، وهي الدولة العلمانية المحاربة لله ولرسوله – وقد سبق ذكر ذلك – ، و المتضرر من هذه الضربة بالدرجة الأولى هو الشعب المسلم ، كما أنهم هم الذين تضرروا بالحصار الظالم حتى مات من جراء ذلك أكثر من مليون من الأطفال .

وعلى هذا :

فإن دعم أمريكا في هذه الحملة الصليبية بأي نوعٍ من أنواع الدعم قل أو كثر ردة صريحة عن الإسلام ، وكفر بالله ورسوله ، وذلك من وجهين :

الوجه الأول : أنه دعم لحملة صليبية خبيثة ، تهدف إلى (أمركة الإسلام) ، وضرب ما يسمونه بالأصولية الإسلامية ، وتعميم القيم الأمريكية العالمية كما يزعمون ، وهذا ما يعرفه المتابعون لتصريحات المسئولين الأمريكان من بعد غزوة جمادى ، و قد سبق ذكر بعض أقوالهم في هذا ، وهذا الأمر لا يخالف فيه حتى المرجئة [1] .

[1] وذلك أن مرجئة هذا العصر – والإرجاء دين يحبه الملوك كما ذكر بعض السلف – يقومون بتفصيل الأحكام على حسب الحاجة ، فقاموا بتفصيل الناقض الثامن من نواقض الإسلام وهو (مظاهرة الكفار) تفصيلاً يناسب الوقت ؛ فقالوا لا يكفر من ظاهر الكفار إلا إذا ظاهرهم من أجل دينهم ، ومن ظاهر الأمريكان في حملتهم هذه فإنما يظاهرهم من أجل نشر قيمهم كما هو ظاهر لكل ذي عينين ، ولكن – كما هو معتاد – سيقوم المرجئة بتفصيل آخر مناسب للمقام! .

والوجه الثاني : أنه من باب مظاهرة الكفار على المسلمين ، فالدمار والقتل والتشريد سيقع على المسلمين في العراق كما هو معلوم ، ومظاهرة الكفار ومناصرتهم على مسلم واحد ردة ، فكيف بمظاهرتهم على شعب مسلم ؟!.

وهذه المظاهرة هي الناقض الثامن من نواقض الإسلام ، حيث قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله :

" الناقض الثامن : مظاهرة المشركين ومعونتهم على المسلمين ، والدليل قوله تعالى (وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)".

وقد نقل الإجماع على ذلك غير واحد من أهل العلم منهم :

1- ابن حزم رحمه الله حيث قال في (المحلى) (11/ 138) :

"صح أن قوله تعالى (وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ) إنما هو على ظاهره بأنه كافر من جملة الكفار ، **وهذا حق لا يختلف فيه اثنان من المسلمين** ".

2- و الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ رحمهم الله : حيث قال في (الدرر 326/8) – بعد كلام له عن وجوب معاداة الكفار والبراءة منهم – :

"فكيف بمن أعانهم ، أو جرهم على بلاد أهل الإسلام ، أو أثنى عليهم ، أو فضلهم بالعدل على أهل الإسلام ، واختار ديارهم ومساكنتهم وولايتهم وأحب ظهورهم ، **فإن هذا ردة صريحة بالاتفاق** ، قال الله تعالى (ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين)".

3- و الشيخ عبد الله بن حميد رحمه الله حيث قال في (الدرر 479/15) :

"وأما التولي : فهو إكرامهم ، والثناء عليهم ، والنصرة لهم والمعاونة على المسلمين ، والمعاشرة ، وعدم البراءة منهم ظاهراً ، فهذا ردة من فاعله ، يجب أن تجرى عليه أحكام المرتدين ، كما دل على ذلك الكتاب والسنة **وإجماع الأمة المقتدى بهم**" .

4- و الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله حيث قال في (فتاواه) (274/1) :

"**وقد أجمع علماء الإسلام على أن من ظاهر الكفار على المسلمين وساعدهم بأي نوع من المساعدة فهو كافر مثلهم** ، كما قال الله سبحانه (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) (المائدة:51)".

وقد فصلت الأدلة على كفر من أعان الكفار على المسلمين من الكتاب والسنة وأقوال الصحابة وفتاوى أهل العلم ، وذكرت الشبهات وردها في كتاب : (**التبيان**) و (**الوقفات**) ، فراجعهما إن شئت.

فإن كانت إعانة أمريكا على ضرب العراق اتباعاً لتشريعات وقرارات الأمم المتحدة ، فيضاف إلى الوجهين السابقين **الوجه الثالث وهو** :

التحاكم إلى الطواغيت ، وتقديمها على حكم الله ورسوله ، وهو كفر بالإجماع ، ومن طواغيت هذا العصر (هيئة الأمم المتحدة) التي جمعت بين الحكم بالطاغوت ، وبين الظلم والبغي في الأرض ، ولا يصح إيمان المسلم إلا بالكفر بجميع الطواغيت :

قال تعالى (**فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى**) ، وقال تعالى (**ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت**) .

ومن هذه الطواغيت : طاغوت الحكم بغير ما أنزل الله كما قال الله سبحانه (**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا**) .

والتحاكم إلى الطواغيت كفر بالإجماع كما نقله ابن كثير رحمه الله حيث قال [1]:

"فمن ترك الشرع المحكم المنزل على محمد بن عبدالله خاتم الأنبياء وتحاكم إلى غيره من الشرائع المنسوخة كفر، فكيف بمن تحاكم إلى الياسا وقدمها عليه؟، من فعل ذلك كفر بإجماع المسلمين" .

وقال الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ رحمه الله[2]:

"فمن خالف ما أمر الله به ورسوله صلى الله عليه وسلم بأن حكم بين الناس بغير ما أنزل الله ، أو طلب ذلك اتباعاً لما يهواه ويريده فقد خلع ربقة الإسلام والإيمان من عنقه ، وإن زعم أنه مؤمن ؛ فإن الله تعالى أنكر على من أراد ذلك وأكذبهم في زعمهم الإيمان لما في ضمن قوله (**يزعمون**) من نفي إيمانهم ؛ فإن (**يزعمون**) إنما يقال غالباً لمن ادعى دعوى هو فيها كاذب لمخالفته لموجبها وعمله بما ينافيها ، يحقق هذا قوله (**وقد أمروا أن يكفروا به**) ؛ لأن الكفر بالطاغوت ركن التوحيد – كما في آية البقرة – فإن لم يحصل هذا الركن لم يكن موحداً ، والتوحيد هو أساس الإيمان الذي تصلح به جميع الأعمال وتفسد بعدمه، كما أن ذلك بين في قوله تعالى (**فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى**) وذلك أن التحاكم إلى الطاغوت إيمان به".

وقال الشيخ عبد الله أبا بطين [3]:

---

[1] البداية والنهاية : 109/13 .

[2] فتح المجيد : ص 345 .

[3] الدرر السنية : 301/2 .

"إن اسم الطاغوت : يشمل كل معبود من دون الله ، وكل رأس في الضلال ، يدعو إلى الباطل ، ويحسنه ؛ ويشمل أيضاً : كل من نصبه الناس للحكم بينهم بأحكام الجاهلية ، المضادة لحكم الله ورسوله".

وقال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في قوله تعالى (**ولا يشرك في حكمه أحداً**) بعد أن ذكر مجموعة من الآيات التي تدل على كفر المتحاكمين إلى الطواغيت [1]:

"وبهذه النصوص السماوية التي ذكرنا ؛ يظهر غاية الظهور : أن الذين يتبعون القوانين الوضعية التي شرعها الشيطان على ألسنة أوليائه ، مخالفة لما شرعه الله جل وعلا على ألسنة رسله صلى الله عليهم وسلم ، أنه لا يشك في كفرهم وشركهم إلا من طمس الله على بصيرته وأعماه عن نور الوحي مثلهم".

وقال الشيخ أحمد شاكر[2]:

"إن الأمر في هذه القوانين الوضعية واضح وضوح الشمس هي كفر بواح لا خفاء فيه ولا مداورة ، ولا عذر لأحد ممن ينتسب للإسلام كائناً من كان في العمل بها، أو الخضوع لها، أو إقرارها ، فليحذر امرؤ نفسه وكل امرئ حسيب نفسه".

وكلام أهل العلم في هذا الباب كثير جداً ، وفيما سبق كفاية لمن أراد الحق ، والله المستعان .

شبهة

وقد يقول قائل : إن المعركة الدائرة بين أمريكا والعراق في حقيقتها معركة بين صليبيين وبعثيين ، والجميع كفار ، فلا تحقق هنا لمظاهرة الكفار على المسلمين ! .

والجواب : أن يقال :

أولاً : أن هذا تسطيح للمسألة ، فالمعركة في حقيقتها أعمق من هذا بكثير ، فهي بين الإسلام والكفر ، وقد صرح بذلك بوش ووزير دفاعه ونائبه ومستشارة بوش وغيرهم ، وقد سبق نقل بعض كلامهم في هذا ، وأنهم يهدفون من خلال حربهم هذه إلى إحلال قيم (الحرية) و (الديمقراطية) – بالمقاييس الأمريكية – في البلاد الإسلامية ، والعراق مرحلة من مراحل !.

ثانياً : أنه لو لم ترد تصريحاتهم بهذا لكان الواقع خير شاهد عليه ؛ فإن حروبهم على الإسلام مستمرة على قدم وساق بعد غزوة جمادى ؛ بعضها متصل ببعض ، سواء العسكري منها ، أو الثقافي والفكري، فهاهي قواتهم لا تزال في أفغانستان والباكستان ، وبعض قواتهم في الفلبين ، وبعضها في اليمن ، وفي غيرها من الدول ، وكل هذا لملاحقة من فيها من المجاهدين ، وها هي فرق التحقيق من مخابراتهم تجوب البلاد

[1] أضواء البيان : 92/4 .

[2] عمدة التفسير : 174/4 .

للتحقيق مع الإسلاميين ، و ها هي الدول الإسلامية تتقرب إلى أمريكا باعتقال المجاهدين والتنكيل بهم ، كما أن دول أوربا بدأت بحملات اعتقال واسعة ضد الإسلاميين أيضاً ، وقد ضغطوا على اليمن والباكستان حتى أغلقوا كثيراً من المعاهد الشرعية ، وشنوا حملات شعواء على (الوهابية) ، وغير هذه الأمور مما سبق بيان بعضها :

فهل بعد كل هذا يقال : إن هذه الحرب بين (بوش) و (صدام) ؟ أو بين نصارى و بعثيين ؟! .

إن عداءهم لصدام و حصارهم الظالم على العراق يمتد إلى أكثر من عشر سنوات ، فلماذا تذكروا في هذا الوقت أنه خطر على السلام ؟! .

إن هذه الحرب – كما واضح – إنما هي امتداد للحملة الصليبية التي بدأت في أفغانستان .

ثالثاً : أن أشد المتضررين من هذه المعركة هم المسلمون من الشعب ، وأما الشرذمة الحاكمة فهم في بروجهم المشيدة لن ينالهم شيء من الأذى إلا بعد أن يذوق المسلمون هناك أضعاف أضعافه !.

رابعاً : أنه قد يسوغ مثل هذا التأويل – على بعده – لو أن الذين أعانوا أمريكا في حملتها هذه من أهل الدين والخير والتقوى ، ومن الذين يراقبون الله في أعمالهم ، ولكن الحقيقة أن الذين أعانوهم لم يسألوا مطلقاً عن حكم الشرع ، ولم ينتظروا فتوى! .

المبحث الثاني

حكم إعانة العراق

الكلام في إعانة العراق يختلف عن الكلام في إعانة طالبان – نصرهم الله – ؛ لأن حكومة طالبان إسلامية تطبق الشريعة ، أما حكومة العراق فبعثية كافرة تطبق شريعة الطاغوت ، فلا بد من التفريق بين الحكومة ، والشعب المسلم ؛ لهذا كان لا بد من التفصيل في هذه المسألة كما يلي :

الحالة الأولى :

موقف المسلم خارج العراق :

أولاً : إعانة حكومة البعث العراقية :

فلا تجوز إعانتهم ؛ لأن هذه الحكومة –كما سبق – حكومة مجرمة خبيثة كافرة ، وتاريخها مليء بالكفر و الدم و المجازر ضد المسلمين ، ولو كانت لهم من القوة ما لأمريكا لعملوا من المآسي ما لم يعرفه التاريخ ، وقد فعلوا بالمسلمين الأكراد الأفاعيل ، وما (حلبجة) عنا ببعيد ، حيث أبادوا أكثر من خمسة آلاف بالكيماوي ، ولم يضربوا يهودياً واحداً به ! ، وقد رأينا بعضاً مما فعلوه لما أوتوا بعض القوة، لذا فلا يجوز مناصرتهم ولا إعانتهم ، بل يجب قتالهم حال القدرة على ذلك.

وقد قال الله تعالى عن موسى عليه السلام (قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ) (القصص:17) ، قال القرطبي رحمه الله (234/13) :

" وأراد بمظاهرة المجرمين : إما صحبة فرعون وانتظامه في جملته ، وتكثير سواده ، حيث كان يركب بركوبه كالولد مع الوالد ، وكان يسمى ابن فرعون ؛ وإما بمظاهرة من أدت مظاهرته إلى الجرم والإثم ، كمظاهرة الإسرائيلي المؤدية إلى القتل الذي لم يحل له قتله ... قال سلمة بن نبيط : بعث عبد الرحمن بن مسلم إلى الضحاك بعطاء أهل بخارى وقال : أعطهم ؛ فقال : أعفني ؛ فلم يزل يستعفيه حتى أعفاه . فقيل له : ما عليك أن تعطيهم وأنت لا ترزؤهم شيئا ؟. فقال : لا أحب أن أعين الظلمة على شيء من أمرهم . وقال عبيد الله بن الوليد الوصافي قلت لعطاء بن أبي رباح : إن لي أخا يأخذ بقلمه ، وإنما يحسب ما يدخل

ويخرج ، وله عيال ولو ترك ذلك لاحتاج وأدّان ؟ فقال : من الرأس ؟. قلت : خالد بن عبد الله القسري . قال : أما تقرأ ما قال العبد الصالح : (**رب بما أنعمت علي فلن أكون ظهيرا للمجرمين**)[1] ؟ " .

و قال الله تعالى (**فلا تكونن ظهيراً للكافرين**) .

قال الطبري رحمه الله (126/20) :

" وقوله (**فلا تكونن ظهيرا للكافرين**) : يقول : فاحمد ربك على ما أنعم به عليك من رحمته إياك بإنزاله عليك هذا الكتاب ، ولا تكونن عوناً لمن كفر بربك على كفره به ".

وقال ابن كثير رحمه الله (404/3) :

" (**فلا تكونن ظهيرا**) أي : معينا ، (**للكافرين**) : ولكن فارقهم ، ونابذهم ، وخالفهم ".

ويدل على هذا أيضاً جميع النصوص التي تنهى عن موالاة الكفار ومناصرتهم :

كقوله تعالى (لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ)(آل عمران: من الآية28) ، وقوله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَاناً مُبِيناً) (النساء:144) ، وقوله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) (المائدة:51) ، وقوله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْأِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) (التوبة:23) ، وقوله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ) (الممتحنة: من الآية1) .

وقد ذكرت مجموعة من هذه الأدلة و كلام أهل العلم عليها في (التبيان) ، فلا نطيل الكلام في تقرير هذا .

وقد يقول قائل :

إن حكومة العراق تعان على أمريكا لأنها أهون الشرين ، فتدرأ المفسدة الأعظم وهي الغزو الأمريكي بالمفسدة الأخف وهي إعانة الحكومة العراقية .

فيقال :

أولاً : عند المقارنة بين حكومة البعث وحكومة أمريكا – على الجميع لعنة الله – يظهر أن كل واحدة منهما أخبث من الأخرى من وجه :

[1] قلت : رحم الله عطاء ، فقد قال هذا في مثل (خالد بن عبد الله القسري) وهو المشهور بقتله للزنادقة كالجعد بن درهم والمغيرة بن سعيد وغيرهما ، فكيف بإعانة المجرم (صدام حسين) وزبانيته الذي اشتهر بنشر الزندقة وقتل المصلحين؟!.

فحكومة البعث أخبث من ناحية موقفها من الشعب المسلم في العراق وقهره وإذلاله وحكمه بالحديد والنار وفرض الأفكار البعثية عليهم مما لا يعاني منه المسلمون في أمريكا !.

وحكومة أمريكا أخبث من ناحية تسلطها على جميع المنطقة وفرض سياستها على باقي الدول تحت الضغط العسكري والسياسي مما لا تقدر على مثله حكومة العراق.

ثانياً : أننا لسنا بحاجة إلى الترجيح بين كافر بعثي ، وكافر صليبي ؛ لوجود حل آخر : وهو تقديم العون إلى المسلمين من الشعب و الجماعات الجهادية في العراق ، كما سيأتي في الفقرة التالية .

ثانياً : إعانة الشعب المسلم في العراق :

فيجب على المسلمين الوقوف مع إخوانهم في العراق وإعانتهم بما يقدرون عليه مادياً ومعنوياً ، خصوصاً وأن المسلمين هناك عانوا الأمرين من طواغيت البعث ، ومن طواغيت أمريكا ، فالأولون حكموهم بالمقاصل والمجازر والحروب ، وأما الآخرون فحاصروهم حتى أهلكوا الحرث والنسل ، فهلك بسبب البعث الملايين بين الحروب والمجازر ، وهلك بسبب حصار أمريكا الظالم أكثر من مليون من الأطفال ، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

والوقوف مع المسلمين في العراق ليس تفضلاً ، بل هو من أقل حقوق الإخوة الإسلامية :

فقد قال الله تعالى (**والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض**) ، وقال تعالى (**إنما المؤمنون إخوة**).

وفي الصحيحين عن النعمان بن بشير رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر**) ، وفيهما أيضاً عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا وشبك بين أصابعه**) ، وفيهما أيضاً عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**) ، وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (**كونوا عباد الله إخوانا ، المسلم أخو المسلم ؛ لا يظلمه ، ولا يخذله ، ولا يحقره**) ، وفي مسند الإمام أحمد عن سهل بن سعد رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**المؤمن في أهل الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ، يألم المؤمن لأهل الإيمان كما يألم الجسد لما في الرأس**) ، وفي سنن أبي داود عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (**المؤمن مرآة المؤمن ، المؤمن أخو المؤمن يكف عنه ضيعته ويحوطه من ورائه**) .

والنصوص في هذا الباب كثيرة متواترة .

قال النووي رحمه الله (شرح مسلم : 6 / 136) :

"قوله صلى الله عليه وسلم (**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً**) ، وفي الحديث الآخر (**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم** إلى آخره) : هذه الأحاديث صريحة في تعظيم حقوق المسلمين بعضهم على بعض ، وحثهم على التراحم ، والملاطفة ، والتعاضد".

وقال ابن رجب رحمه الله في ما ينهى عنه المسلم تجاه أخيه :

" ومن ذلك : خذلان المسلم لأخيه ؛ فإن المؤمن مأمور أن ينصر أخاه ، كما قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم (**انصر أخاك ظالماً أو مظلوما**) قال : يا رسول الله ، أنصره مظلوماً ، فكيف أنصره ظالماً؟. قال : (**تمنعه من الظلم ، فذلك نصرك إياه**) خرجه البخاري بمعناه من حديث أنس، وخرجه مسلم بمعناه من حديث جابر . وخرج أبو داود من حديث أبي طلحة الأنصاري وجابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : (**ما من امرئ مسلم يخذل امرأ مسلماً في موضع تنتهك فيه حرمته ، وينتقص فيه من عرضه ، إلا خذله الله في موطن يحب فيه نصرته ، وما من امرئ ينصر مسلماً في موضع ينتقص فيه من عرضه ، وينتهك فيه من حرمته، إلا نصره الله في موضع يحب فيه نصرته**). وخرج الإمام أحمد من حديث أبي أمامة بن سهل عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : (**من أُذِلَّ عنده مؤمن ، فلم ينصره وهو يقدر على أن ينصره ، أذله الله على رؤوس الخلائق يوم القيامة**). وخرج البزار من حديث عمران بن حصين عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : (**من نصر أخاه بالغيب وهو يستطيع نصره ، نصره الله في الدنيا والآخرة**)"اهـ.

فإن قيل : وكيف يعان المسلمون في العراق بدون إعانة حكومتهم ؟ .

فالجواب :

إن الإعانة نوعان :

النوع الأول : وهي الإعانة المعنوية : كالدعاء لهم ، والقنوت ، ومناصرتهم في المحافل ، والدعوة لدعمهم ، ونصر المسلمين هناك بالفتاوى والبيانات والخطب والمحاضرات ، وفضح أمريكا ، والتحذير من مخططاتها ، ونحو ذلك ، وهذا للمسلمين في العراق ، ولا نصيب للبعثيين فيه ، بل يجب بيان حالهم لئلا يغتر بهم مسلم .

والنوع الثاني : الإعانة المادية : وهي على وجهين :

الأول : الإعانة الإغاثية : فهذه توصل إلى المسلمين هناك بطرق كثيرة معروفة .

والثاني : الإعانة العسكرية : فتكون عن طريق إعانة الرايات الجهادية الإسلامية المستقلة داخل العراق، ولتكن هذه الضربة طريقاً لإحياء الجهاد في تلك المنطقة ، كما كان الغزو الروسي لأفغانستان طريقاً لإحياء الجهاد هناك ، وكما كان الاعتداء الروسي على الشيشان طريقاً لإحياء الجهاد في القوقاز، كما سيأتي إن شاء الله تعالى .

الحالة الثانية :

موقف المسلم داخل العراق :

فيجب على أهل الحل والعقد من العلماء وطلبة العلم و الدعاة و المجاهدين من المسلمين في العراق أن يستغلوا هذه الأوضاع فيقوموا بتوحيد صفوفهم ، ونبذ الخلافات بينهم ، وليقوموا بإنشاء راية جهادية إسلامية موحدة مستقلة ، تحكم بالكتاب والسنة على منهج السلف الصالح ، وتقاتل في سبيل الله ، ولو كانت بدايتها ضعيفة ، وأفرادها قلائل ؛ فإن الله سبحانه سيبارك فيها إذا خلصت النيات ، وصلحت الأعمال ، وقد قال الله تعالى : (فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْساً وَأَشَدُّ تَنْكِيلاً) (النساء:84) :

قال القرطبي رحمه الله (279/5) : " (**فقاتل**) : كأن هذا المعنى لا تدع جهاد العدو والاستنصار عليهم للمستضعفين من المؤمنين ولو وحدك ؛ لأنه وعده بالنصر . قال الزجاج : أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بالجهاد وإن قاتل وحده ؛ لأنه قد ضمن له النصرة . قال ابن عطية : هذا ظاهر اللفظ ، إلا أنه لم يجئ في خبر قط أن القتال فرض عليه دون الأمة مدة ما ؛ فالمعنى – والله أعلم – أنه خطاب له في اللفظ ، وهو مثال ما يقال لكل واحد في خاصة نفسه ؛ أي : أنت يا محمد وكل واحد من أمتك القول له : (**فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك**) . ولهذا ينبغي لكل مؤمن أن يجاهد ولو وحده ؛ ومن ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم : (والله لأقاتلنهم حتى تنفرد سالفتي) ، وقول أبي بكر وقت الردة : (ولو خالفتني يميني لجاهدتها بشمالي) "اهـ .

وعليهم بالاستفادة من التجارب الجهادية التي وقعت في أفغانستان والشيشان والفلبين وفلسطين وكشمير وإرتريا وغيرها ؛ فإن الجهاد في الشيشان مثلاً بدأ ببضع مئات وبارك الله فيه ، وكذلك الجهاد في أفغانستان بدأ برايات إسلامية متناثرة هنا وهناك ، ثم ما لبث أن قوي واستحكم حتى كانت نتيجته الأخيرة (طالبان) نصرهم الله ، وكذلك في فلسطين ؛ فقد نشأت حركة المقاومة الإسلامية (حماس) من داخل الشعب ، بينما السلطة الفلسطينية عميلة كافرة .

فمن العار على المسلمين أن يكتفوا بالفرجة والانتظار ، ويجعلوا خيارهم بين كافرين : إما أن ينتصر البعث فيحكمهم بالحديد والنار ، وإما أن ينتصر الأمريكان فيجعلون عليهم حكومة عميلة أخرى ، بل لا بد أن يكون لهم قرار مستقل و خيار ثالث وهو الجهاد في سبيل الله ، فإما أن يمن الله عليهم بالنصر ، أو بالشهادة ، قال تعالى (فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً) (النساء:74) .

ثم هم سيقاتلون ، إما في سبيل البعث ، وإما في سبيل الله ، فليكن القتال لإعلاء كلمة الله ، فهو طريق النصر والتمكين إن شاء الله .

مسألة
حكم القتال تحت راية البعث

من المعلوم أن من أهل العراق عددا كثيرا من المسلمين المستضعفين الذين لا يقدرون على مواجهة أمريكا بمفردهم ، وقد يضطرون للاستعانة بإمكانات البعثيين وأسلحتهم ومخططاتهم في المواجهة ، **فهنا يبرز سؤال وهو** :

ما حكم القتال تحت راية البعث ضد أمريكا ؟ .

والجواب :

بالتفصيل : فهنا حالتان :

الحالة الأولى :

أن لا يكون هناك راية إسلامية مجاهدة مستقلة ، ولا يقدر على دفع الأمريكان عن نفسه إلا بالقتال تحت راية البعث فيجوز له في هذه الحالة القتال معهم ؛ لأنه في حكم المكره ، ولأن الحالة هنا من باب دفع الصائل ، فهو يقاتل دون نفسه وأرضه وماله .

وبما أن القتال مع البعثيين خطير ، وقد يكون أمراً لا مفر منه لبعض المسلمين أثناء الحملة الصليبية ؛ إذ قد يكونون بين نيران الأمريكان ، أو ردهم وحربهم بأسلحة البعثيين ؛ لذلك فإنه يجوز في حدود ضيقة وذلك عند توفر أربعة شروط :

الشرط الأول : أن لا يقدر على دفعهم عن نفسه وأرضه لوحده أو مع جماعته .

والشرط الثاني : أن لا توجد راية أو جماعة إسلامية يقاتل معها ، فإن وجدت وجب عليه الانضمام إليها كما سيأتي إن شاء الله في الحالة الثانية .

والشرط الثالث : أن لا يتلبس بشيء من كفريات البعثيين .

والشرط الرابع : أن يكون قتاله بنية دفع الكفار عن نفسه وأرضه وماله ، لا بنية مناصرة البعث والطواغيت .

قال ابن حزم رحمه الله تعالى [1]:

"واتفقوا أن دفاع المشركين وأهل الكفر عن بيضة أهل الإسلام وقراهم وحصونهم وحريمهم إذا نزلوا على المسلمين فرض على الأحرار البالغين المطيقين".

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله [2]:

" وأما قتال الدفع فهو أشد أنواع دفع الصائل عن الحرمة والدين فواجب إجماعاً ، فالعدو الصائل الذي يفسد الدين والدنيا لا شيء أوجب بعد الإيمان من دفعه ، فلا يشترط له شرط بل يدفع بحسب الإمكان[3] وقد نص على ذلك العلماء أصحابنا وغيرهم".

ومسألة قتال الكفار مع كفار آخرين لمصالح متحققة من دفع الشر عن النفس ونحو ذلك مسألة مذكورة في كتب الفقه ، وفيها خلاف معروف بين أهل العلم ، وليست مسألة يكفر فيها الفاعل بمجرد قتاله معهم :

قال السرخسي الحنفي رحمه الله (المبسوط 98/10) :

" وإذا كان قوم من المسلمين مستأمنين في دار الحرب فأغار على تلك الدار قوم من أهل الحرب لم يحل لهؤلاء المسلمين أن يقاتلوهم ; لأن في القتال تعريض النفس فلا يحل ذلك إلا على وجه إعلاء كلمة الله عز وجل وإعزاز الدين , وذلك لا يوجد ههنا ; لأن أحكام أهل الشرك غالبة فيهم فلا يستطيع المسلمون أن يحكموا بأحكام أهل الإسلام ، فكان قتالهم في الصورة لإعلاء كلمة الشرك وذلك لا يحل إلا أن يخافوا على أنفسهم من أولئك ؛ فحينئذ لا بأس بأن يقاتلوهم للدفع عن أنفسهم ، لا لإعلاء كلمة الشرك , والأصل فيه حديث جعفر[4] رضي الله عنه , فإنه قاتل بالحبشة العدو الذي كان قصد النجاشي , وإنما فعل ذلك ; لأنه لما كان مع المسلمين يومئذ آمنا عند النجاشي فكان يخاف على نفسه وعلى المسلمين من غيره , فعرفنا أنه لا بأس بذلك عند الخوف ".

---

[1] مرتب الإجماع : ص 138.

[2] الفتاوى الكبرى : 520/4 .

[3] ومن هذا شرط (وجود الراية) ، فإذا عدمت الراية يكون الدفع حسب الإمكان .

[4] كذا ، والصواب : الزبير لأنه هو الذي وردت الرواية بتعيينه كما في المسند والسنن للبيهقي وغيرهما .

وقال محمد بن الحسن رحمه الله كما في (شرح السير) 1515/4 :

(لا ينبغي للمسلمين أن يقاتلوا أهل الشرك مع أهل الشرك ؛ لأن الفئتين حزب الشيطان , وحزب الشيطان هم الخاسرون , فلا ينبغي للمسلم أن ينضم إلى إحدى الفئتين فيكثر سوادهم ويقاتل دفعا عنهم ؛ وهذا لأن حكم الشرك هو الظاهر , والمسلم إنما يقاتل لنصرة أهل الحق , لا لإظهار حكم الشرك) ثم قال بعد كلام : (ولو قال أهل الحرب لأسراء فيهم : قاتلوا معنا عدونا من المشركين , وهم لا يخافونهم على أنفسهم إن لم يفعلوا ، فليس ينبغي أن يقاتلوهم معهم ؛ لأن في هذا القتال إظهار الشرك , والمقاتل يخاطر بنفسه فلا رخصة في ذلك إلا على قصد إعزاز الدين , أو الدفع عن نفسه . فإذا كانوا يخافون أولئك الآخرين على أنفسهم فلا بأس بأن يقاتلوهم ; لأنهم يدفعون الآن شر القتل عن أنفسهم ، فإنهم يأمنون الذين هم في أيديهم على أنفسهم , ولا يأمنون الآخرين إن وقعوا في أيديهم , فحل لهم أن يقاتلوا دفعا عن أنفسهم) .

وقال البهوتي الحنبلي رحمه الله في (كشاف القناع) 63/3 :

" تحرم إعانة الكفار على عدوٍ منهم إلا خوفاً من شرهم ، لقوله تعالى (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله) ".

وكلام أهل العلم في هذا الباب معروف ، وتبحث هذه المسألة في استعانة الكفار بالمسلمين على الكفار في أبواب الجهاد من كتب الفقه .

الحالة الثانية :

أن توجد راية أو جماعة إسلامية مجاهدة ، فلا يجوز له في هذه الحالة أن يقاتل تحت راية البعث مطلقاً، بل يجب عليه أن ينضم إلى المجاهدين – ولو شق عليه ذلك – ما دام قادراً ؛ لأن هذا سبيل إقامة الدين، فلا بد من البذل والتضحية ، كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وقد قال تعالى (قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ) (التوبة:24) ، ولا يعذر بتخلفه عنهم إلا إذا كان مستضعفاً ، كما قال تعالى عن الذين تخلفوا عن الهجرة والانحياز إلى المسلمين في المدينة : (إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيراً ،إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلا يَهْتَدُونَ سَبِيلاً ، فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوّاً غَفُوراً) (النساء:97-99) .

فإن قاتل تحت راية البعث مع وجود الراية الإسلامية دون مقصد شرعي صحيح فإن أقل أحواله — إن سلم من التلبس بالكفر — أن يكون ممن قال فيهم الرسول صلى الله عليه وسلم — كما في الصحيح عن أبي هريرة — : (من قاتل تحت راية عمية يغضب لعصبة أو يدعو إلى عصبة أو ينصر عصبة فقتل فقتلته جاهلية) .

فالمقصود :

أنه في حالة وجود راية جهادية مستقلة فإنه يجب على كل من قدر على الانضمام إليها – ولو بالهجرة – أن يبادر إلى ذلك ، ولا يكون الخوف على المال أو البيت أو الأهل عذراً في ترك الهجرة والجهاد معهم ، والله أعلم .

المبحث الثالث

موقف علماء المسلمين

يجب على أهل العلم والدعوة ما لا يجب على غيرهم من : الصدع بالحق ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، وتبيين أحكام الشرع للعامة ، وتعليمهم أمور دينهم ، خصوصاً في مثل هذه الأحوال التي تسلط فيها الكفار والمنافقون على المسلمين ، فلبسوا عليهم أمر دينهم ، فاختلط الحق بالباطل ، فقد أخذ الله تعالى عليهم الميثاق أن يبينوا للناس ما آتاهم ولا يكتمونه ؛ فقال تعالى (وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ) (آل عمران:187) ، وتوعد الله سبحانه على كتمان العلم فقال تعالى (إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ) (البقرة:159) .

قال القرطبي رحمه الله (296/2) :

"قوله تعالى (وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب) هذا متصل بذكر اليهود ؛ فإنهم أمروا بالإيمان بمحمد عليه السلام وبيان أمره فكتموا نعته ، فالآية توبيخ لهم ، ثم مع ذلك هو خبر عام لهم ولغيرهم . قال الحسن وقتادة : هي في كل من أوتي علم شيء من الكتاب ، فمن علم شيئا فليعلمه وإياكم وكتمان العلم ؛ فإنه هلكه . وقال محمد بن كعب : لا يحل لعالم أن يسكت على علمه ، ولا للجاهل أن يسكت على جهله ؛ قال الله تعالى (وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب) الآية ، وقال : (فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون) . وقال أبو هريرة : لولا ما أخذ الله على أهل الكتاب ما حدثتكم بشيء ؛ ثم تلا هذه الآية (وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب) . وقال الحسن بن عمارة : أتيت الزهري بعد ما ترك الحديث فألفيته على بابه ، فقلت : إن رأيت أن تحدثني ، فقال : أما علمت أني تركت الحديث ، فقلت : إما أن تحدثني وإما أن أحدثك ، قال : حدثني ، قلت : حدثني الحكم بن عتيبة عن يحيى بن الجزار قال : سمعت علي بن أبي طالب يقول : ما أخذ الله على الجاهلين أن يتعلموا حتى أخذ على العلماء أن يعلموا ، قال : فحدثني أربعين حديثا " .

وقال ابن كثير رحمه الله (437/1) :

"وفي هذا تحذير للعلماء أن يسلكوا مسلكهم فيصيبهم ما أصابهم ، ويُسلك بهم مسلكهم ، فعلى العلماء أن يبذلوا ما بأيديهم من العلم النافع الدال على العمل الصالح ، ولا يكتموا منه شيئا ؛ فقد ورد في

الحديث المروي من طرق متعددة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (من سئل عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار) ".

وقد قال عباد بن عباد الخواص رحمه الله في رسالته المشهورة في نصيحته لأهل العلم — وهي مذكورة في مقدمة سنن الدارمي — :

" و ناصحوا الله في أمتكم إذ كنتم حملة الكتاب والسنة ؛ فإن الكتاب لا ينطق حتى ينطق به ، وإن السنة لا تعلم حتى يعمل بها ، فمتى يتعلم الجاهل إذا سكت العالم فلم ينكر ما ظهر ولم يأمر بما ترك ؟ وقد أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب ليبيننه للناس ولا يكتمونه ، اتقوا الله فإنكم في زمان رق فيه الورع ، وقل فيه الخشوع ، وحمل العلم مفسدوه ، فأحبوا أن يعرفوا بحمله ، وكرهوا أن يعرفوا بإضاعته، فنطقوا فيه بالهوى لما أدخلوا فيه من الخطأ ، وحرفوا الكلم عما تركوا من الحق إلى ما عملوا به من باطل ، فذنوبهم ذنوب لا يستغفر منها ، وتقصيرهم تقصير لا يعترف به ، كيف يهتدي المستدل المسترشد إذا كان الدليل حائرا ؟ ، أحبوا الدنيا وكرهوا منزلة أهلها فشاركوهم في العيش وزايلوهم بالقول ، ودافعوا بالقول عن أنفسهم أن ينسبوا إلى عملهم فلم يتبرءوا مما انتفوا منه ، ولم يدخلوا فيما نسبوا إليه أنفسهم ؛ لأن العامل بالحق متكلم وإن سكت " .

فالخلاصة أنه يجب على حملة العلم بيان أحكام الله سبحانه فيما يدور في الساحة ، من حكم مظاهرة الكفار على المسلمين ، وأحكام موالاة الكفار ، وحكم الوقوف مع المسلمين في شدتهم ، ومناصرة المجاهدين ضد أعداء الله الأمريكان ، وحكم تتبع المجاهدين وسجنهم والتضييق عليهم ، وحكم التحاكم إلى الهيئات الطاغوتية ، وغير هذه الأمور مما يحتاجه المسلمون اليوم ! .

وقد رأينا من أهل العلم من استنكر وشجب قتل ثلاثة آلاف صليبي كافر على الفور ، ولم يتكلم بحرف واحد عن أكثر من مليون طفل عراقي يقتلون من عشر سنوات ، ولا عن أكثر من عشرين ألف أفغاني قتلوا في الحملة الصليبية ! .

وماذا يخشى المتكلم بالحق ؟ .

أيخشى القتل ؟ .

وهل هناك أعز من الشهادة في سبيل الله ، وأكرم من منازل الشهداء ؟.

وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم (والذي نفسي بيده لوددت أني أقتل في سبيل الله ، ثم أحيا ثم أقتل ، ثم أحيا ثم أقتل ، ثم أحيا ثم أقتل) .

أيخشى الابتلاء أو السجن ؟ .

فهذا سبيل الأنبياء والصالحين ، كما ثبت عن سعد بن أبي وقاص أنه قال قلت : يا رسول الله ، أي الناس أشد بلاء ؟. قال : (الأنبياء ، ثم الأمثل ، فالأمثل ، حتى يبتلى الرجل على قدر دينه ، فإن كان صلب الدين اشتد بلاؤه ، وإن كان في دينه رقة ابتلي على قدر ذلك ، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يمشي على الأرض وما عليه من خطيئة) .

أيخشى انقطاع الرزق والضيعة ؟ .

فقد قال تعالى (وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ) (الذريات:22) ، وقال تعالى (وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا) (هود: من الآية6) ، وقال تعالى (وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) (العنكبوت:60) .

أيخشى الفتنة ؟ .

وهل من فتنة أعظم من الكفر والشرك ونشره والسكوت عنه ؟ .

وقد قال تعالى (وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ) (البقرة:191) .

وقال (وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ) (البقرة: من الآية217) .

قال الطبري رحمه الله (197/2) :

" يعني تعالى ذكره بقوله (والفتنة أشد من القتل) : والشرك بالله أشد من القتل ، وقد بينت فيما مضى أن أصل الفتنة الابتلاء والاختبار ، فتأويل الكلام : وابتلاء المؤمن في دينه حتى يرجع عنه فيصير مشركا بالله من بعد إسلامه أشد عليه وأضر من أن يقتل مقيما على دينه متمسكا عليه محقا فيه ، ...ثم ساق بإسناده عن مجاهد قوله في الآية : ارتداد المؤمن إلى الوثن أشد عليه من القتل ، – وروى نحواً منه عن قتادة والضحاك وغيرهما – ".

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله (الفتاوى 513/10) في قوله تعالى (والفتنة أكبر من القتل) :

"يقول سبحانه وتعالى : وإن كان قتل النفوس فيه شر ؛ فالفتنة الحاصلة بالكفر وظهور أهله أعظم من ذلك ، فيدفع أعظم الفسادين بالتزام أدناهما " .

وقال ابن القيم رحمه الله (الفوائد) ص 78 :

"أين أنت ؟ ! :

والطريق : طريقٌ تعب فيه آدم ، وناح لأجله نوح ، ورمي في النار الخليل ، وأضجع للذبح إسماعيل ، وبيع يوسف بثمن بخس ، ولبث في السجن بضع سنين ، ونشر بالمنشار زكريا ، وذبح السيد الحصور يحيى ، وقاسى الضر أيوب ، وزاد على المقدار بكاء داود ، وسار مع الوحش عيسى ، وعالج الفقر وأنواع الأذى محمد صلى الله عليه وسلم ، تزها أنت باللهو واللعب !!.

فيا دارها بالحزن إن مزارها *** قريب ولكن دون ذلك أهوال ".

وأذكّر أهل العلم بحال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى — وقد سجن أكثر من خمس مرات ومات مسجوناً وقد تجاوز الستين — فيما نقله عنه ابن القيم رحمه الله (الوابل الصيب) ص69:

"وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية – قدس الله روحه – يقول : إن في الدنيا جنة من لم يدخلها لا يدخل جنة الآخرة . وقال لي مرة : ما يصنع أعدائي بي ؟ أنا جنتي وبستاني في صدري : أين رحت فهي معي لا تفارقني ، إن حبسي خلوة ، وقتلي شهادة ، وإخراجي من بلدي سياحة . وكان يقول في محبسه في القلعة : لو بذلت ملء هذه القلعة ذهبا ما عدل عندي شكر هذه النعمة ، أو قال : ما جزيتهم على ما تسببوا لي فيه من الخير ، ونحو هذا . وكان يقول في سجوده وهو محبوس : اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك ما شاء الله . وقال لي مرة : المحبوس من حبس قلبه عن ربه تعالى ، والمأسور من أسره هواه . ولما دخل إلى القلعة وصار داخل سورها نظر إليه وقال : فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب .

وعلم الله :

ما رأيت أحدا أطيب عيشا منه قط ، مع كل ما كان فيه من ضيق العيش وخلاف الرفاهية والنعيم ، بل ضدها ، ومع ما كان فيه من الحبس والتهديد والإرهاق ، وهو مع ذلك من أطيب الناس عيشا ، وأشرحهم صدرا ، وأقواهم قلبا ، وأسرهم نفسا ، تلوح نضرة النعيم على وجهه ، وكنا إذا اشتد بنا الخوف ، وساءت منا الظنون ، وضاقت بنا الأرض أتيناه ؛ فما هو إلا أن نراه ونسمع كلامه ؛ فيذهب ذلك كله وينقلب انشراحا وقوة ويقينا وطمأنينة ، فسبحان من أشهد عباده جنته قبل لقائه ، وفتح لهم أبوابها في دار العمل ، فأتاهم من روحها ونسيمها وطيبها ما استفرغ قواهم لطلبها والمسابقة إليها".

خاتمة

(فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيرا كثيراً)

وبعد هذا كله :

فإننا نرجو من الله سبحانه وتعالى أن تكون هذه الحملات الصليبية من المحن المحملة بالمنح ، وأن يصدق فيها قول الله تعالى (فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً) (النساء: من الآية19) ، و لعلها تكون كذلك من ناحيتين :

الناحية الأولى : أن تكون موقظة للأمة من غفلتها :

فإن الأمة تعاني من أمراض عظيمة ، من حب الدنيا ، وكراهة الموت ، والابتعاد عن الشرع ، والخلود إلى الأرض ، فأعجزها ذلك عن الحراك ، وسلط عليها الكفار من كل جنس ، وعلاجها – والله أعلم – لا يكون إلا بصدمات قوية ، متتابعة ، بقوة ما هي عليه من مرض ، فلعل هذه الحملات الصليبية تحمل بين أظهرها علاج هذه الأمة ؛ فتجعلها تفيق من غفلتها ، وتنهض من كبوتها ، وقد رأينا كيف كان الاجتياح الأحمر لأفغانستان قبل أكثر عشرين سنة من أعظم أسباب إحياء شعيرة الجهاد في سبيل الله بين المسلمين في العصر الحاضر ، ولعل حملة بني الأصفر الحالية على المنطقة أن تحيي الجهاد في هذه المنطقة أيضاً ، وتوقظ قلوب المسلمين ، وتكون طريقاً لإظهار الإسلام على الدين كله ولو كره الكافرون ، وما ذلك على الله بعزيز.

وقد تنبه إلى بعض هذا القذافي (!) حيث قال ناصحاً أمريكا في مقابلة له مع وكالة الأنباء الفرنسية يوم الثلاثاء 1423/6/26 :

"إذا انهار العراق سيتحول إلى معقل لطالبان ، وأسامة بن لادن ، والإخوان المسلمين ، والشيشان ، وجماعات التكفير والهجرة ، ويتحول بالتالي إلى قاعدة أخرى مثل أفغانستان " ، وقال : " إذا انهار العراق لن تستطيع أمريكا السيطرة عليه ، وتصبح نارًا حمراء ، وإذا ضربوا إيران ستصبح أيضًا مرتعا آخر للإرهابيين وقاعدة أخرى لأفغانستان " ، وقال : " إذا ضربت إيران والعراق فسيصبحان مسرحًا واحدًا للعمل غير المنظم ، وإذا كانت أمريكا تعتقد أنها بهذا العمل ستقضي على الإرهاب ، فأنا أؤكد لها عكس ذلك " .

الناحية الثانية : أن تكون طريقاً لنهاية أمريكا :

فالأزمات الاقتصادية المتتابعة على أمريكا خانقة ، خصوصاً بعد الغزوة المباركة ، ومع تتابع حملاتهم الصليبية وما تكلفه من الميزانيات الضخمة ، بالإضافة إلى ما يسببه الاعتداء على منطقة الخليج الغنية بالنفط من أزمات عالمية ستتضرر منها أمريكا أيضاً ، فإن هذا يؤذن بأفول نجم هذه الدولة بحول الله وقوته ؛ إذ إن قوامها قائم على الاقتصاد ، فيكون دخول أفغانستان بداية النهاية لها إن شاء الله تعالى ، كما كان ذلك تماماً للاتحاد السوفيتي ، وقد صرحت صحيفة الواشنطون بوست الأمريكية في عددها الصادر يوم الأحد 23جمادى الآخرة – كما في موقع المفكرة – ، أن عددًا من كبار القادة العسكريين الأمريكيين صرحوا بأن الحرب على العراق من الممكن أن تستنفد أموالا طائلة ، ويخشون من أن تحول الإدارة الأمريكية جميع وارداتها من الأموال المخصصة للحرب ضد تنظيم القاعدة والإرهاب إلى هذه الحرب الجديدة ، وبالتالي يحدث عجز كبير في الاقتصاد الأمريكي من الممكن أن يؤدي إلى انهيار اقتصادي متوقع كما حدث مع الاتحاد السوفييتي السابق الذي انهار اقتصاديًا بسبب الحرب مع المجاهدين الأفغان داخل أفغانستان .

وأختم كلامي بنصيحتين :

الأولى : إلى المسلمين في العراق :

فأنصحهم بتقوى الله سبحانه ، والرجوع إليه ، فإنه ما نزل بلاء إلا بذنب ، ولا رفع إلا بتوبة ، وأوصيهم بالاهتمام بأصل الدين ولبه (توحيد الله) وتعلمه ، وتعليمه ، ودعوة الناس إليه ، وهجر الشرك كله صغيره وكبيره ، وتحذير الناس منه ، وعليهم بالتمسك بالسنة ، واتباعها ، والحذر من البدع وأهلها ، والمعاصي ، والتحذير منها ، كما أوصيهم بالبراءة من الطواغيت ، وعلى رأسهم طواغيت البعث ، وهذه الأمور من أعظم أسباب النصر ، قال تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ) (محمد:7) ، أسأل الله سبحانه أن ينصرهم على عدوهم ، وأن يثبتهم على الحق ويعينهم عليه.

والنصيحة الثانية : إلى المسلمين في كل مكان :

فأنصحهم بتقوى الله ، والاعتصام بالكتاب والسنة ، وأن يعدوا العدة للجهاد في سبيل الله ، وأن يتهيئوا للقتال ؛ فإن الصليبيين قد أعلنوها (حملة صليبية) صريحة ، وبدأوا بضرب المسلمين : الواحد بعد الآخر ، والمؤمن كيس فطن ، فلا يؤخذ من الصليبيين على حين غرة !.

وقد قال تعالى (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ) (لأنفال:60)

نسأل الله سبحانه أن يهلك أمريكا وأهلها من الكفار ، وأن يعز الإسلام وأهله ، وأن يعجل بنصر المجاهدين في سبيله في كل مكان ، وأن يرد كيد المنافقين إلى نحورهم ، وأن يكفي المسلمين شرورهم ، وأن يجعلنا من أنصار دينه ، وأن يرزقنا الشهادة في سبيله مقبلين غير مدبرين ، إنه ولي ذلك والقادر عليه ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

كتبه

ناصر بن حمد الفهد

الرياض

nassir@al-fhd.com

الفهرس